مختصر جليل

يتضمن أحاديث وآثارا ومواعظ تتعلق بالموت وما بعده



تأليف

زين الدين بن عبد العزيز بن زين الدين المليباري

رحمه الله تعالى آمين



كفى بالموت واعظاً

حديث شريف

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك اللهم وبحمدك ، ونصلى ونسلم على محمد رسولك وعبدك وعلى آله وأصحابه الموفين بعهدك .

[وبعد] فهذا مختصر ضمنت فيه بعض أحاديث ذكر الموت وما بعده فى فصول متوسطات بدأت أحاديث كل فصل بما يناسبه من آيات وأردفتها بآثار ومواعظ زاجرات عسى الله أن ينفعنى به وأحبابى والمسلمين والمسلمات .

فصل فى التحذير من الاغترار بالدنيا

قال الله تعالى ـ يأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذاجاء أجلها والله خبير بما تعملون ـ وفى كتاب الترمذى قال النبى صلى الله عليه وسلم « أكثروا ذكر هاذم اللذات الموت » . وفى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ماحق امرئ مسلم له شىء يوصى فيه يبيت ليلتين الا وصيته مكتوبة عنده » . وفى رواية مسلم «يبيت ثلاث ليال» قال ابن عمر رضى الله عنهما : مامرت علىّ ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك الا وعندى وصيتى . وفى صحيح البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما . قال وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى وقال : كن فى الدنيا كأنك غريب أوعابر سبيل وعد نفسك من أصحاب القبور» : أى لاتركن اليها ولاتتخذها وطنا ولاتحدث نفسك بطول البقاء فيها ولابالاعتناء بها ولاتتعلق منها بمالايتعلق به الغريب فى غير وطنه ولا تشتغل فيها بمالايشتغل به الغريب الذى يريد الذهاب الى أهله ، وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول : اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح واذا أصبحت فلاتنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اثنتان يكرههما ابن آدم يكره الموت والموت خير للمؤمن من الفتنة ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب» . وقال حاتم الأصم : لكل شىء زينة ، وزينة العبادة الخوف ، وعلامة الخوف قصر الأمل . وقيل للحسن : ألا تغسل قميصك . فقال الأمر أعجل من ذلك .

اعلم أنه يسن لكل واحد من المكلفين اكثار ذكر الموت ، وينبغى أن يستعد له بالتوبة الى الله

تعالى ورد المظالم والمريض آكد، لأنه يرق به قلبه ويخاف فيرجع عن المظالم ويقبل على الطاعات.

واعلم أن بني آدم طائفتان: طائفة نظروا الى شاهد خيال الدنيا وتمسكوا بتأميل العمر الطويل ولم يتفكروا في النفس الأخير، وطائفة عقلاء جعلوا النفس الاخير نصب أعينهم لينظروا ماذا يكون مصيرهم وكيف يخرجون من الدنيا ويفارقونها وإيمانهم سالم وما الذي ينزل معهم من الدنيا في قبورهم وما الذي يتركونه لأعدائهم ويبقى عليهم وباله ونكاله، وهذه الفكرة واجبة على كافة الخلق وهي على الملوك وأهل الدنيا أوجب لأنهم كثيرا أزعجوا قلوب الخلق وأدخلوا في قلوبهم الرعب فإن لحضرة الحق تعالى ذكره غلاما يعرف بملك الموت لامهرب لأحد من مطالبته ونشبته وكل موكلي الملوك يأخذون جعلهم ذهبا وطعاما وهذا الوكيل لايأخذ سوى الروح جعلا، وسائر موكلي السلاطين تنفع عندهم شفاعة وهذا الموكل لاتنفع عنده شفاعة شافع، وجميع الموكلين يمهلون من يوكلون به اليوم والساعة وهذا الموكل لايمهل نفسا واحدا. ويروى أنه كان ملك كثير المال قد جمع مالا عظيما واحتشد من كل نوع خلقه الله تعالى من متاع الدنيا ليرفه نفسه ويتفرغ لأكل ماجمعه فجمع نعما طائلة وبنا قصرا عاليا مرتفعا ساميا يصلح للملوك والأمراء والأكابر والعظماء وركب عليه بابين محكمين وأقام عليه الغلمان والاجناد والحرسة والاجناد والبوابين كما أراد وأمر بعض الأنام أن يصطنع له من أطيب الطعام وجمع أهله وحشمه وأصحابه وخدمه ليأكلوا عنده وينالوا رفده وجلس على سرير مملكته واتكأ على وسادته وقال يانفس قد جمعت أنعم الدنيا بأسرها فالآن افرغي لذلك وكلي هذه النعم مهنأة بالعمر الطويل والحظ الجزيل فلم يفرغ مما حدث نفسه حتى أتى رجل من ظاهر القصر عليه ثياب خلقة ومخلاته في عنقه معلقة على هيئة سائل يسأل الطعام فجاء وطرق حلقة الباب طرقة عظيمة هائلة بحيث تزلزل القصر وتزعزع السرير وخاف الغلمان ووثبوا الى الباب وصاحوا بالطارق وقالوا ياضيف ماهذا الحرص وسوء الأدب اصبر الى أن نأكل ونعطيك مما يفضل. فقال لهم قولوا لصاحبكم ليخرج الي فلي اليه شغل مهم وأمر ملم فقالوا له تنح أيها الضيف من أنت حتى تأمر صاحبنا بالخروج اليك، فقال أنتم عرفوه ماذكرت لكم، فلما عرفوه قال هلا نهرتموه وجردتم عليه وزجرتموه، ثم طرق حلقة الباب أعظم من طرقته الأولى فنهضوا من أماكنهم بالعصي والسلاح وقصدوه ليحاربوه فصاح بهم صيحة وقال الزموا أماكنكم فأنا ملك الموت فرعبت قلوبهم وطاشت حلومهم وارتعدت فرائصهم وبطلت عن الحركة جوارحهم. فقال الملك قولوا له ليأخذ بدلا مني وعوضا عني. فقال ما آخذ الا روحك ولا أتيت الا لأجلك لافرق بينك وبين النعم التي جمعتها والأموال التي حويتها وخزنتها فتنفس الصعداء وقال لعن الله هذا المال الذي غرني وأبعدني ومنعني من عبادة ربي وكنت أظن أنه ينفعني فاليوم صار حسرتي وبلائي وخرجت صفر اليدين منه وبقي لأعدائي فأنطق الله تعالى المال حتى قال، لأي سبب تلعنني العن نفسك فان الله تعالى خلقني وإياك من تراب وجعلني في يدك لتتزود بي الى آخرتك وتتصدق بي على الفقراء وتزكي بي على الضعفاء ولتعمر بي الربط والمساجد والجسور والقناطر لأكون عونا لك في اليوم الآخر جمعتني وخزنتني وفي هواك أنفقتني ولم تشكر حقي، بل كفرتني فالآن تركتني لأعدائك وأنت بحسرتك وبلائك فأي ذنب لي فتسبني وتلعنني ثم ان ملك الموت قبض روحه قبل أكل الطعام فسقط عن سريره صريع الحمام :

تجهز الى الأجداث ويحك والرمس   جهازا من التقوى لأطول ماحبس
فانك لاتدرى اذا كنت مصبحا   بأحسن ماترجو لعلك لاتمسى
سأتعب نفسى كى أصادف راحة   فان هوان النفس أكرم للنفس
وأزهد فى الدنيا فان مقيمها   كظاعنها ماأشبه اليوم بالأمس

فصل فى الاستعداد لنزول الموت

قال الله تعالى ــ حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون ــ الى آخر السورة . وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم غرز عودا بين يديه وآخر الى جنبه وآخر أبعد منه . فقال أتدرون ماهذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا الانسان وهذا الأجل وهذا الأمل فيتعاطى الأمل فيلحقه الأجل دون الأمل » ، وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبىّ صلى الله عليه وسلم « أنه قال لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك » وكتب الامام أبوحامد الغزالى الى الشيخ أبى الفتح ابن سلامة: قرع سمعى بأنك تلتمس منى كلاما وجيزا فى معرض النصح والوعظ وانى لست أرى نفسى أهلا له فان الوعظ زكاة نصابها الاتعاظ فمن لانصاب له كيف يخرج الزكاة وفاقد النور كيف يستنير به غيره ، ومتى يستقيم الظل والعود أعوج . وقد أوصى الله تعالى عيسى ابن مريم عليهما السلام « ياابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والافاستحى منى » . وقال نبينا ﷺ « تركت فيكم ناطقا وصامتا فالناطق هو القرآن والصامت هو الموت » وفيهما كفاية لكل متعظ ومن لم يتعظ بهما كيف يعظ غيره ولقد وعظت نفسى بهما وقبلت وصدقت قولا وعقلا وأبت وتمردت تحقيقا وفعلا . فقلت لنفسى أما أنت مصدّقة بأن القرآن هو الواعظ الناطق وانه كلام الله المنزل الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه . فقالت بلى فقلت لها قد قال الله تعالى ــ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ماكانوا يعملون ــ فقد أوعد الله بالنار على ارادة الدنيا وكل مالا يصحبك بعد الموت فهو من الدنيا فهل تنزهت عن حب الدنيا وارادتها ولوأن طبيبا نصرانيا وعدك بالموت أو بالمرض على تناول ألذ الشهوات لتحاميتها واتقيت واتقت منها فكان النصرانى عندك أصدق من الله تعالى فان كان كذلك فما أكفرك أم كان المرض أشدّ عليك من النار فان كان كذلك فما أجهلك فصدّقت ثم ما انتفعت بل أصرّت على الصامت الميل الى العاجلة واستمرت ، ثم أقبلت عليها فوعظتها بالمواعظ فقلت لها قد أخبر الناطق عن الصامت اذ قال الله تعالى ــ قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردّون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ــ وقلت لها هبى أنك ملت الى العاجلة أفلست مصدقة بأن الموت لامحالة يأتيك قاطعا عليك ماأنت متمسكة به وسالبا منك كل ماأنت راغبة فيه وأن كل ماهو آت قريب وأن البعيد ماليس بآت وقد قال الله تعالى ــ أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم

ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ـ فكأنك مخرجة بهذا الوعظ عن جميع ما أنت فيه قالت صدقت فكان منها قولا لايحصل ماوراءه ولم تجتهد قط فى تزود الآخرة كاجتهادها فى تدبير العاجلة ولم تجتهد فى رضا الله تعالى كاجتهادها فى طلب رضاها وطلب رضا الخلق ولم تستحى من الله تعالى كما تستحى من واحد من الخلق ولم تشمر لاستعداد الآخرة كتشميرها فى الصيف لأجل الشتاء وفى الشتاء لأجل الصيف فانها لاتطمئن فى أوائل الشتاء مالم تتفرغ من جميع ماتحتاج اليه فيه مع أن الموت ربما يختطفها والشتاء لايدركها والآخرة عندها يقين فلا يتصور ان تختطف منها . فقلت لها ألست تستعدين للصيف بقدر طوله وتصنعين آلة الصيف بقدر صبرك على الحر قالت نعم . قلت فاعصى الله بقدر صبرك على النار واستعدى للآخرة بقدر بقائك فيها فقالت هذا هو الواجب الذى لايرخص فى تركه الا الحق ، ثم استمرت على سجيتها ووجدتنى كما قال بعض الحكماء : فى الناس من ينزجر نصفه ثم لاينزجر نصفه الآخر وما أرانى إلا منهم ، ولما رأيتها متمادية فى الطغيان غير منتفعة بموعظة الموت والقرآن رأيت أهم الأمور التفتيش عن سبب تماديها مع اعترافها وتصديقها فان ذلك من العجائب العظيمة فطال تفتيشى عنه حتى وقفت على سببه ، وهاأنا موص نفسى وإياك بالحذر منه فهو الداء العظيم وهو السبب الداعى الى الغرور والاهمال وهو اعتقاد تراخى الموت واستبعاد هجومه على القرب فانه لو أخبره صادق فى بياض نهاره أنه يموت من ليله أو يموت الى أسبوع أو شهر لاستقام واستوى على الصراط المستقيم وترك جميع ماهو فيه مما يظن أنه يتعاطاه لله تعالى وهو فيه مغرور فضلا عما ليس لله تعالى فانكشف لى تحقيقا أن من أصبح وهو يأمل أنه يمسى أو أمسى وهو يأمل أنه يصبح لم يخل من الفتور والتسويف ولم يقدر الا على سير ضعيف فأوصيه ونفسى بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال «صل صلاة مودع» ولقد أوتى جوامع الكلم وفصل الخطاب ولا ينتفع بوعظ الا به ، ومن غلب على ظنه فى كل صلاة انها آخر صلاته حضر معه خوفه من الله تعالى وخشيته منه ، ومن لم يخطر بخاطره قصر عمره وقرب أجله غفل قلبه عن صلاته وسئمت نفسه فلا يزال فى غفلة دائمة وفتور مستمر وتسويف متتابع الى أن يدركه الموت ويهلكه حسرة الفوت وأنا مقترح عليه أن يسأل الله تعالى أن يرزقنى هذه الرتبة فانى طالب لها وقاصر عنها وأوصيه أن لايرضى من نفسه الا بها وأن يحذر مواقع الغرور فيها ويحترز من خداع النفس فان خداعها لايقف عليه الا الأكياس وقليل ماهم ، والوصايا وان كانت كثيرة والمذكرات وان كانت كثيرة فوصية الله أكملها وأنفعها وأجمعها وقد قال الله عز وعلا فى محكم القرآن ـ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ـ فما أسعد من قبل وصية الله تعالى وعمل بها وادخرها لنفسه ليجدها يوم مرده ومنقلبها وقال يزيد الرقاشى : كان فى بنى اسرائيل جبار من الجبابرة ، وكان فى بعض الأيام جالسا على سرير مملكته فرأى رجلا قد دخل من باب الدار ذا صورة منكرة وهيئة هائلة فاشتد خوفه من هجومه وهيئته وقدومه فوثب فى وجهه وقال له من أنت أيها الرجل ومن أذن لك فى الدخول الى دارى . فقال أذن لى صاحب الدار وأنا الذى لايحجبنى حاجب ولا أحتاج فى دخولى على الملوك الى اذن ولا أرهب سياسة السلطان ولا يفزعنى جبار ولا لأحد من قبضتى فرار ، فلما سمع هذا الكلام خر على وجهه ووقعت الرعدة فى جسده وقال أنت ملك الموت ؟ قال : نعم . قال

أقسم عليك بالله ألا أمهلتنى يوما واحدا لأتوب من ذنبى وأطلب العذر من ربى وأرد الأموال التى أودعتها خزائنى الى أربابها ولا أتحمل مشقة عذابها فقال كيف أمهلك وأيام عمرك محسوبة وأوقاته مثبتة مكتوبة فقال أمهلنى ساعة . فقال ان الساعات فى الحساب وقد عبرت وأنت غافل وانقضت وأنت ذاهل وقد استوفيت أنفاسك ولم يبق لك نفس واحد فقال من يكون عندى اذا نقلتنى الى لحدى فقال لا يكون عندك سوى عملك فقال مالى عمل فقال لاجرم يكون مقيلك فى النار ومصيرك الى غضب الجبار وقبض روحه فخر عن سريره وعلا الضجيج من أهل مملكته وارتفع ، ولو علموا مايصير اليه من سخط ربه لكان بكاؤهم عليه أكثر وعويلهم أوفر .

فصل فى طول الأمل

قال الله تعالى — ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون — .
وعن أبى بن كعب رضى الله عنه قال « كان رسول الله ﷺ اذا ذهب ثلث الليل قام فقال : يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه » . وعن ابن عباس رضى الله عنهما « أن رسول الله ﷺ كان يهريق الماء فيتيمم بالتراب فأقول يارسول الله : الماء منك قريب فيقول مايدرينى لعلى لا أبلغه » . وعن أنس قال النبى ﷺ « يهرم ابن آدم ويشب فيه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل ابن آدم الى جنبه تسع وتسعون منية ان أخطأته المنايا وقع فى الهرم » . وروى أن الحسن قيل له : ان فلانا مات بغتة فقال مايعجبكم من ذلك لو لم يمت بغتة مرض بغتة ثم مات . قال الغزالى رحمة الله عليه : وعليك أن تجتنب طول أملك فانه اذا طال هاج أربعة أشياء : الأول ترك الطاعة والكسل فيها يقول سوف أفعل والأيام بين يدى . والثانى ترك التوبة وتسويفها يقول سوف أتوب وفى الأيام سعة وأنا شاب وسنى قليل والتوبة بين يدى وأنا قادر عليها متى رمتها وربما اغتاله الحمام على الاصرار واختطف الأجل قبل اصلاح العمل . والثالث الحرص على جمع الأموال والاشتغال بالدنيا عن الآخرة : يقول أخاف الفقر فى الكبر وربما أضعف عن الاكتساب ولابد لى من شىء فاضل أدخره لمرض أوهرم أوفقر ، هذا ونحوه يحرك الى الرغبة فى الدنيا والحرص عليها والاهتمام بالرزق . تقول إيش آكل وإيش ألبس هذا الشتاء وهذا الصيف ومالى شىء ولعل العمر يطول فأحتاج والحاجة مع الشيب شديدة ولابدّ لى من قوت وغنية عن الناس ، وهذه وأمثالها تحرك الى طلب الدنيا والرغبة فيها والجمع لها والمنع لما عندك منها ، والرابع القسوة فى القلب والنسيان للآخرة لأنك اذا أملت العيش الطويل لاتذكر الموت والقبر . وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه « أخوف ما أخاف عليكم اثنان طول الأمل واتباع الهوى . ألا ان طول الأمل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصدك عن الحق» فاذن يصير فكرك فى حديث الدنيا وأسباب العيش فى صحبة الخلق ونحوها فيقسو القلب فبسبب طول الأمل تقل الطاعة وتتأخر التوبة وتكثر المعصية ويشتد الحرص ويقسو القلب وتعظم الغفلة فتذهب والعياذ بالله ان لم يرحم الله الآخرة فأى حال أسوأ من هذه وأى آفة أعظم من هذه ، وانما رقة القلب وصفوته بذكر الموت ومفاجأته والقبر والثواب

والعقاب وأحوال الآخرة .

ويروى أن ذا القرنين اجتاز بقوم لايملكون شيئاً من أسباب الدنيا وقد حفروا قبور موتاهم على باب دورهم وهم فى كل وقت يتعهدون تلك القبور وينظفونها ويزورونها ويعبدون الله تعالى بينها وما لهم طعام الا الحشيش ونبات الأرض ، فبعث اليهم ذوالقرنين رجلا يستدعى ملكهم فلم يجبه وقال مالى اليه حاجة فجاء ذوالقرنين اليه وقال كيف حالكم فانى لا أرى لكم شيئاً من ذهب ولا فضة ولا أرى عندكم شيئاً من نعم الدنيا ؟ فقال نعم لان نعم الدنيا لايشبع منها أحد قط . فقال لم حفرتم القبور على أبوابكم فقال لتكون نصب أعيننا فننظر اليها فيتجدد ذكر الموت ويبرد حب الدنيا فى قلوبنا فلا نشتغل بها عن عبادة ربنا . فقال كيف تأكلون الحشيش . فقال لأنا نكره أن نجعل بطوننا مقابر للحيوان ، ولأن لذة الطعام لاتتجاوز الحلق ، ثم مد يده الى طاقة فأخرج منها قحف رأس آدمى فوضعه بين يديه ، وقال ياذا القرنين هل من كان هذا فقال لا . قال كان صاحب هذا القحف ملكا من ملوك الدنيا وكان يظلم رعيته ويجور على الضعفاء ويستفرغ زمانه فى جمع الدنيا فقبض الله روحه وجعل النار مقره وهذا رأسه ، ثم مدّ يده ووضع قحفا آخر بين يديه وقال له أتعرف هذا فقال لا . فقال كان هذا ملكا عادلا مشفقا على رعيته محبا لأهل مملكته فقبض الله روحه وأسكنه جنته ورفع درجته ثم انه وضع يده على رأس ذى القرنين وقال ترى أىّ هذين الرأسين يكون هذا الرأس ، فبكى ذو القرنين بكاء شديدا وضمه الى صدره وقال له ان أنت رغبت فى صحبتى فانى أسلم اليك وزارتى وأقاسمك مملكتى فقال هيهات مالى فى ذلك رغبة . فقال لم قال لأن جميع الخلق كلهم أعداؤك بسبب المال والمملكة وجميعهم أصدقائى بسبب القناعة والصعلكة ، ولله در القائل :

دليلك أن الفقر خير من الغنى ... وأن قليل المال خير من المثرى
لقاؤك عبدا قد عصى الله بالغنى ... ولم تلق عبدا قدعصى الله بالفقر

فصل فى قصر الأمل

اعلم أن تقصير الأمل مع حب الدنيا متعذر وانتظار الموت مع الاكباب عليها غير متيسر إذ الاناءاذا كان مملوءا بشىء لا يكون لشىء آخر محل فيه ، ولأن الدنيا والآخرة كضرتين اذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى ، وكالمشرق والمغرب بقدر ماتقرب من أحدهما تبعد من الآخر . قال الله تعالى — من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا — وقال تعالى — فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور — وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الله واتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فان أوّل فتنة بنى إسرائيل كانت من النساء » . وقال النبى ﷺ « ماذئبان جائعان أرسلا فى زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » .
وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال ﷺ « وان مما أخاف عليكم من بعدى مايفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها . فقال رجل أيأتى الخير بالشر فسكت حتى ظننا أنه ينزل عليه . قال فمسح عنه الرحضاء ، وقال أين السائل وكأنه حمده ، وقال انه لايأتى الخير بالشر وان مما ينبت الربيع

مايقتل حبطا أو يلم الا آكلة الخضر أكلت حتى اذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم عادت فأكلت ، وان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بحقه ووضعه فى حقه فنعم المعونة ومن أخذه بغير حقه كان كالذى يأكل ولايشبع ويكون شهيدا عليه يوم القيامة » . يعنى مثال كثرة المال كمثال ماينبت فى فصل الربيع ، فان بعض النباتات حلو فى فم الدابة وهى حريصة على أكله ولكن ربما تأكل كثيرا فيحصل لها داء من كثرة الأكل فتموت من ذلك الداء أو تقرب فان لم تأكل الدابة الا بقدر مايطيقه كرشها فتأكل وتترك الأكل حتى ينهضم ما أكلت وحتى تبول وتروث روثا وتحصل لها خفة من خروج الروث والبول منها فلا يضرها الأكل ، فكذلك من يحصل له مال كثير ، فان حرص على المال وتكثير الأكل والشرب والتجمل فيقسو قلبه وتتكبر نفسه ويرى نفسه أفضل من غيره ويحتقر الناس ويؤذيهم ولايخرج حقوق المال من الزكاة وأداء الكفارات والنذور وإطعام السائلين والأضياف وحقوق الجار ، فمن كانت هذه صفته لاشك أن المال شر له ويبعده من الجنة ويقربه من النار ، ومن أدى حقوق المال ولا يحتقر الناس ولايفتخر عليهم ولايشتغل بجمع المال بحيث يفوت عنه طاعة ويحسن الى الناس فماله خير له كما قال عليه الصلاة والسلام « نعم المال الصالح للرجل الصالح » . فاذا عرفت هذا فقد عرفت أن الخير والشر لايحصلان للرجل من عين المال بل نفس الرجل التى هى تصرف المال فيما فيه خير له أو شر له قاله المظهرى . وقال صلى الله عليه وسلم « لكل أمة فتنة وفتنة أمتى المال » . وقال صلى الله عليه وسلم « ان الله تعالى يقول : ابن آدم تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وان لم تفعل ملأت يدك شغلا ولم أسد فقرك » .

وحكى أن رابعة العدوية رضى الله عنها كانت تقول : لكل يوم وليلة هذه ليلتى التى أموت فيها فلا تنام حتى تصبح وتقول للنهار كذا فلا تنام حتى تمسى . وقال أبو بكر بن عياش : ختمت القرآن فى هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة ، وصام ابن المعتمر اربعين سنة وقام ليلها ، ولم يضع سليمان التيمى جنبه عشرين سنة ، وصلى عبد القادر الجيلانى رحمة الله عليه الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة ، ولزم الغزالى الانقطاع ووظف أوقاته على وظائف الخير بحيث لايمضى لحظة منها الا فى طاعة من التلاوة والتدريس والنظر فى الأحاديث خصوصا البخارى وإدامة الصيام والتهجد ومجالسة أهل القلوب الى أن انتقل الى رحمة الله تعالى ، ولم يضع النووى رحمه الله جنبه على الأرض نحو سنتين وكان لايضيع له وقت فى ليل ولانهار الا فى وظيفة من الاشتغال بالعلم حتى فى ذهابه فى الطريق ومجيئه يشتغل فى تكرار ومطالعة ، وحكاياتهم فى المبادرة الى الخيرات كثيرة يكفى من وفقه الله ماذكرنا ، وكل ذلك من نتيجة قصر الأمل .

اعلم أن مما يعينك على ذكر الموت أن تذكر من مضى من أقاربك واخوانك وأصحابك وأترابك الذين مضوا قبلك كانوا يحرصون حرصك ويسعون سعيك ويعملون فى الدنيا عملك فقصفت المنون أعناقهم وقلعت أعراقهم وقصمت أصلابهم وفجعت فيهم أحبابهم فأفردوا فى قبورهم موحشة وصاروا جيفا مدهشة والأحداق سالت والألوان حالت والفصاحة زالت والرؤوس تغيرت وملك مع فتان يقعدهم يسألهم عما كانوا يعتقدون ، ثم تكشف لهم من الجنة والنار مقعدهم الى يوم يبعثون فيرون أرضا مبدلة وسماء منشقة وشمسا مكورة ونجوما منكدرة وملائكة منزلة

وأهوالا مذعرة وصحفا منشرة ونارا زافرة وجنة مزخرفة فعد نفسك منهم ولا تنفس عن زاد معادك ولاتهمل نفسك سدى كالبهائم ترتع ولا تدرى — ذرهم يأكلوا و يتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون اذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون

يا بانى القصر الكبير بين العساكر والقصور وبجرد الجيش الذى
ملأ البسيطة والصدور ومدوخ الأرض التى أعيت على مر الدهور
أما فرغت فلا تدع بنيان قبرك فى القبور وانظر اليه تراه كيف اليك معترضا يشير واذكر رقادك وسطه تحت الجنادل والصخور
قد بدلت تلك الجيو ش وغيرت تلك الأمور واعتضت من لين الحرير خشونة الحجر الكبير وتركت مرتهنا به ثملا وبك ولا عشير
حيران تعلن بالأسى لهفان تدعو بالثبور
ودعيت باسمك بعد ما قد كنت تدعى بالأمير

فصل فى سكرات الموت

قال الله تعالى — كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور — وقال تعالى — وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد — روى البخارى فى صحيحه أن عائشة رضى الله عنها قالت «ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين يديه سلبة فيها ماء فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه و يقول : لا إله إلا الله أن للموت لسكرات ، ثم نصب يده فجعل يقول فى الرفيق الأعلى حتى قبض ». وفى صحيحه «لما ثقل ﷺ جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة رضى الله عنها تقول : وا كرب أبتاه . فقال صلى الله عليه وسلم لا كرب على أبيك بعد اليوم» : ويروى «أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على مريض فقال انى لأعلم مايلقى مافيه عرق الاهو يألم بالموت على حدته ». ويروى عن مكحول عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «لوأن شعرة من شعرات الميت وقعت على أهل السموات والأرض لماتوا باذن الله تعالى » . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا كعب حدثنا عن الموت . فقال نعم يا أمير المؤمنين هو كغصن كثير الشوك أدخل فى جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ، ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى . وكان على رضى الله عنه يحض على القتال فى سبيل الله ويقول : ان لم تقتلوا تموتوا ، والذى نفس محمد بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش ، وقال شداد بن أوس : الموت أفظع هول فى الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلى فى القدور ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بألم الموت ما انتفعوا بعيش ولا التذوا بنوم » . ويروى : أن ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه لما مات قال الله عز وجل له كيف وجدت الموت قال كسفود جعل فى صوف رطب ثم جذب فقال أما انا قد هونا عليك . وعن موسى صلوات الله عليه : أنه لما صار روحه الى الله عز وجل قال له ياموسى كيف وجدت الموت . قال وجدت نفسى كشاة حية بيد القصاب تسلخ ، وذكر أبو بكر بن أبى شيبة فى مسنده عن جابر رضى الله عنه عن

النبي ﷺ قال « تحدثوا عن بني إسرائيل ولاحرج فانهم كانت فيهم أعاجيب ، ثم أنشأ يحدث قال خرجت طائفة فأتوا مقبرة من مقابرهم . فقالوا لوصلينا ركعتين ودعونا الله يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت . قال ففعلوا فبينما هم كذلك اذ أطلع رجل رأسه من قبر تلاشى بين عينيه أثر السجود . فقال ياهؤلاء ما أردتم الىّ فوالله لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عنى حرارة الموت حتى الآن فادعو الله أن يعيدنى كما كنت . وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول : لوددت لو انى رأيت رجلا لبيبا حازما قد نزل به الموت فيخبرنى عن الموت ، فلما نزل به الموت قيل له يا أبا عبدالله كنت تقول أيام حياتك لوددت أنى رأيت رجلا لبيبا حازما قد نزل به الموت يخبرنى عن الموت وأنت ذلك الرجل اللبيب الحازم وقدنزل بك الموت فأخبرنا عنه . فقال أجد كأن السموات انطبقن على الأرض وأنا بينهما وكأن نفسي تخرج من ثقب إبرة ، ويروى أن ابراهيم الخليل قال لملك الموت : هل تستطيع أن تريني الصورة التى تقبض فيها روح الفاجر . قال أطيق ذلك قال بلى ، فأعرض عنه ، ثم التفت فاذا هو رجل أسود الثياب قائم الشعر ، منتن الريح يخرج من فيه ومناخره لهب النار والدخان ، فغشى على ابراهيم ثم أفاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الأولى فقال : ياملك الموت لولم يلق العاصى إلا صورتك وجهك لكان ذلك حسبه . روى عن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال : إذا بقى على المؤمن من ذنوبه شيء لم يبلغه بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدته درجته فى الجنة ، وإن الكافر إذا كان عمله معروفا فى الدنيا هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فى الدنيا ثم يصير الى النار . وروى البخارى « أن عمر رضي الله عنه قال لو أن لى طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من قبل أن أراه » ، وقيل لم يلق ابن آدم أشدّ من الموت وما بعده أشدّ منه . وفى الوسيط للواحدى بإسناده عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأمراض والأوجاع كلها بريد الموت ورسل الموت ، فاذا دنا الأجل أتى ملك الموت بنفسه فقال : أيها العبد كم خبر بعد خبر وكم رسول بعد رسول وكم بريد بعد بريد أنا الخبر ليس بعدى خبر وأنا الرسول ليس بعدى رسول أجب ربك طائعا أومكرها فاذا قبض روحه وتصارخوا عليه قال : على من تصرخون وعلى من تبكون فوالله ما ظلمت له أجلا ولا أكلت له رزقا بل دعاه ربه فليبك الباكى على نفسه فان لى فيكم عودات وعودات حتى لاأبقى منكم أحدا » . وعن أنس بن مالك قال : لقى جبريل ملك الموت بنهر فارس فقال : ياملك الموت كيف تستطيع قبض الأنفس عند الوباء ههنا عشرة آلاف وههنا كذا وكذا ، فقال له ملك الموت تزوى لى الأرض حتى كأنهم بين فخذى فألتقطهم بيدى .

اعلم انا لو انتظرنا ضربة شرطى لتكدر عيشنا وفى كل نفس يمكن مجيء الموت بشدائده وهو أمرّ من ضرب بالسيوف ونشر بالمناشير ، و يود لو قدر على صياح وأنين ويجذب روحه من كل عضو وعرق فتبرد قدماه ثم فخذاه وهكذا حتى يبلغ الحلقوم فعنده ينقطع نظره الى دنياه و يغلق منه باب توبته فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله تعالى يقبل توبة عبده مالم يغرغر » :

أيافرقة الأحباب لا بدّلى منك ويادار دنيا انى راحل عنك
ويا قصر الأيام مالى وللمنى وياسكرات الموت مالى وللضحك
فمالى لاأبكى لنفسى بعبرة اذا كنت لاأبكى لنفسى فمن يبكى

ألا أي حيٍّ ليس بالموت موقنا   وأيّ يقين أشبه اليوم بالشك

فصل : في عذاب القبر للكفار ولبعض عصاة المؤمنين

قال الله سبحانه وتعالى ـ النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب ـ . وفي كتاب الترمذي : كان عثمان بن عفان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبلّ لحيته فقيل له تذكر الجنة والنار ولاتبكي وتبكي من هـذا . فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « القبر أول منزل من منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وان لم ينج منه فما بعده أشدّ منه » . وسمعت رسول الله ﷺ يقول « مارأيت منظرا قط الا والقبر أفظع منه » . وفي كتاب أبي داود والنسائي عن البراء بن عازب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له مادينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ماهـذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فذلك قوله تعالى ـ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ـ قال فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فيها مدّ بصره . وأما الكافر فذكر موته قال ويعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لاأدري . فيقولان مادينك فيقول هاه هاه لاأدري . فيقولان ماهذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لاأدري ، فينادي مناد من السماء أن كذب فافرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له بابا الى النار . قال فيأتيه من حرها وسمومها ، قال ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه » . ثم يقيض له أعمى أصم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبلا لصار ترابا فيضربه بها ضربة يسمعها مابين المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا ثم يعاد فيه الروح » . وفي كتاب الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال « دخل رسول الله ﷺ الصلاة فرأى ناسا كأنهم يكشرون : قال أما انكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى فأكثروا ذكر هاذم اللذات الموت فانه لم يأت على القبر يوم الا تكلم فيه فيقول : أنا بيت الغربة وأنا بيت الوحدة وأنا بيت التراب ، وأنا بيت الدود فاذا دفن العبد المؤمن قال له القبر : مرحبا وأهلا أما ان كنت لأحب من يمشي على ظهري اليّ فاذا وليتك وصرت اليّ فسترى صنعي بك . قال فيتسع له مد بصره ويفتح له باب الى الجنة واذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر لامرحبا ولا أهلا أما ان كنت لأبغض من يمشي على ظهري اليّ فاذا وليتك اليوم وصرت اليّ فسترى صنعي بك . قال فيلتئم عليه حتى يلتقي عليه وتختلف أضلاعه . قال وقال رسول الله ﷺ بأصابعه فأدخل بعضها في جوف بعض قال ويقيض له سبعون تنينا لو أن واحدا منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئا مابقيت الدنيا فينهشه ويخدشه حتى يفضى به الى الحساب» . قال وقال رسول الله ﷺ « القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار »

ويروى أن رجلا دخل على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فرآه قد تغير لونه من كثرة العبادة فجعل يتعجب من تغير لونه واستحالة صفته . فقال له عمر : يابن أخي وما يعجبك مني فكيف

لو رأيتني بعد دخول قبري بثلاث وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان عن الأسنان وخرج الصديد والدود من المناخر والفم وانتفخ البطن فعلا على الصدر ، وخرج الدبر من الصلب لرأيت إذ ذاك شيئا أعجب مما رأيته الآن . وكان بكر العابد يقول لأمه : ياأمه ليتك كنت بي عقيما ان لابنك في القبر حبسا طويلا وإن له من بعد ذلك رحيلا . وقال حاتم الأصم : من مرّ بفناء القبور ولم يتفكر في نفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم . قال القشيري : سمعت أبا عليّ الدقاق يقول : دخلت على الامام أبي بكر بن فورك عائدا ، فلما رآني دمعت عيناه فقلت له ان الله يعافيك و يشفيك . فقال لي تراني أخاف من الموت إنما أخاف مما وراء الموت ، وسمعت بعض الفقراء يقول : ان سبب زهد داود بن نصر الطائي أنه سمع نائحة تنوح :

بأيّ خديك تبدّى البلى وأيّ عينيك إذا سالا وأعجبا

لو وصف طبيب لك داءك ودواءك لاستمعت اليه ولأطعته وهذا دواء دائك العظيم الدفين الذي يصلى صاحبه نار جهنم فلا تسمع اليه حق الاستماع وربما إن طال المجلس نعست أو تكلمت مع أنه ورد لعن المتكلم ، ولو كنت في لهو أو أمر دنيا لم تنعس : بل ارتحت له وما ذاك الا لخبث سريرتك وضعف ايمانك ، أين آباؤك وأبناؤك وأين اخوانك وأحبابك ، سكنوا بطون الأرض وصاروا أكلا للهوام ولا يقدرون على دفع مايلقون من العذاب :

هو الدهر فاصبر ماعلى الدهر معتب وليس لنا من خطة الموت مهرب
ولابدّ من كأس الحمام ضرورة ومن ذا الذي من كأسه ليس يشرب
ومايعمر الدنيا الدنية حازم اذا كان فيها عامر العمر يخرب
وان عليا ذمها في كلامه وطلقها والجاهل الغرّ يخطب
ولما أتى بالكوز والناس حضر فقال لهم يا للرجال تعجبوا
ألا إن هذا الكوز فيه مواعظ لمتعظ من ظلمة القبر يرهب
فكم فيه من ثغر وعين كحيلة وخدّ أسيل كان يهوى و يطلب
وكم من عظيم القدر سادت عظامه أتاه ومنه الماء نقوم يشرب
وينقل من أرض لأخرى هدية فواعجبا حتى البلى يتغرّب

اللهم أصلحنا وأصلح فساد قلوبنا ، وأصلح فساد أعمالنا ، وأصلح فساد ولاة أمورنا ، وأصلحنا بما أصلحت به عبادك الصالحين .

فصل في أحوال بعض الموتى

قال ابن عباس رضي الله عنهما مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين . فقال : انهما يعذبان ومايعذبان في كبير أما أحدهما فكان لايستبرئ من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ، ثم غرز في كل قبر واحدة ، فقال لعله أن يخفف عنهما مالم ييبسا . ورؤى بعض الموتى في المنام فقيل له كيف كان حالك ، فقال صليت يوما بلاوضوء فوكل على ذئب يروّعني في قبري فحالي معه في أسوإ حال . ورؤى آخر في النوم فقيل له مافعل الله بك ، فقال دعني فاني لم أتمكن من غسل يوما من الجنابة فألبسني الله ثوبا من النار أتقلب فيه

ليلا ونهارا . ومر عيسى ابن مريم عليه السلام بمقبرة فنادى رجلا منهم فأحياه الله ، فقال من أنت فقال كنت حمالا أنقل الناس فنقلت يوما لانسان حطبا وكسرت منه خلالا وتخللت به فأنا مطالب به مذ مت . ورؤى سفيان الثورى فى المنام وله جناحان يطير بهما فى الجنة من شجرة الى شجرة فقيل له بم نلت هذا ، فقال بالورع ، ووقف حسان بن أبى سنان على أصحاب الحسن ، فقال أى شىء أشد عليكم ، فقالوا الورع ، فقال ولاشىء أخف على منه ، فقالوا فكيف ، فقال لم أرو من نهركم أربعين سنة ، وكان حسان بن أبى سنان لاينام مضطجعا ولايأكل سمينا ولايشرب باردا ستين سنة فرؤى فى المنام بعد ما مات فقيل له مافعل الله بك ، فقال خيرا إلاأنى محبوس عن الجنة بابرة استعرتها فلم أردها ، وكان لعبد الواحد بن زيد غلام خدمه سنين ويعبد ربه أربعين سنة وكان فى ابتداء الأمر كيالا ، فلما مات رؤى فى المنام فقيل له مافعل الله بك ، فقال خيرا غير أنى محبوس عن الجنة وقد خرج على من غبار القفيز أربعون قفيزا . ويروى أن رجلا جاء الى القبور فصلى ركعتين ، ثم اضطجع على شقه فنام فرأى صاحب القبر فى المنام ، فقال ياهذا انكم تعملون ولا تعلمون ، ونحن نعلم ولا نعمل ولأن تكون ركعتاك فى صحيفتى أحب الى من الدنيا ومافيها . وقال بعض الصالحين مات لى أخ فى الله فرأيته فى النوم ، فقلت له يافلان عشت الحمد لله رب العالمين ، قال لى لأن أقدر أن أقولها يعنى الحمد لله رب العالمين أحب الى من الدنيا وما فيها ، ثم قال ألم تر حيث كانوا يدفنونى ، فان فلانا جاء فصلى ركعتين لأن أقدر أن أصليهما أحب الى من الدنيا ومافيها . وذكر أبو سبرة أن منكرا ونكيرا أتيا رجلا الى قبره وقالا انا ضاربك مائة ضربة ، فقال الميت انى كنت كذا وكذا وتشفع ببعض أعماله الصالحة حتى حطا عنه عشرا ولم يزل يتشفع حتى حطا الجميع الا ضربة فضرباه ضربة فالتهب القبر عليه نارا ، فقال لم ضربتمانى فقالا مررت بمظلوم فاستغاث بك فلم تغثه . وقال عبد الله بن عمر وجماعة من أهل بيته انا كنا ندعو الله تعالى ليرينا عمر فى المنام فرأيته فى المنام بعد اثنتى عشرة سنة كأنه قد اغتسل وهو متلفع بازار ، فقلت ياأمير المؤمنين كيف وجدت ربك وبأى حسناتك جازاك ، فقال ياعبد الله كم لى منذ فارقتكم فقلت اثنتا عشرة سنة ، فقال منذ فارقتكم كنت فى الحساب وخفت أن أهلك إلاأن الله غفور رحيم جواد كريم . فهذا حال عمر ولم يكن له فى دنياه شىء من أسباب الولاية سوى درة . وروى أنه زنى أبو شحمة ولد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فجلده مائة جلدة فمات ، فلما كان بعد أربعين يوما ، قال حذيفة بن اليمان : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ، واذا الفتى معه وعليه حلتان خضراوان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرئ عمر منى السلام وقل له هكذا آمرك أن تقرأ القرآن وتقيم الحدود ، وقال الفتى ياحذيفة أقرئ أبى منى السلام وقل له طهرك الله كما طهرتنى والسلام . وروى عن أبى بكر بن أبى الدنيا عن بعض أصحابه انه قال لنباش بعد توبته ماسبب توبتك ووجودك الى الله ، قال نبشت انسانا فوجدته قد سمر بمسامير فى جميع جسده ومسمار كبير فى رأسه وآخر فى رجليه . وقيل لآخر ماسبب توبتك ، قال رأيت جمجمة انسان قد صب فيها الرصاص . ويروى أن بعض النباشين نبش ذات ليلة قبرا ، فلما كشف عن الميت اذا بنار تحرق الميت فأهوت اليه منها شرارة فهرب وتاب الى الله تعالى . وقيل رؤى الأوزاعى فى المنام ، فقال مارأيت ههنا درجة أرفع من درجة

العلماء ثم المؤذنين ، ورؤى أبو عبد الله النداد فى المنام فقيل له مافعل الله بك ، فقال أوقفنى وغفر لى كل ذنب أقررت به فى الدنيا الا واحدا استحييت أن أقر به فأوقفنى فى العرق حتى سقط لحم وجهى فقيل له وماذاك ، فقال نظرت الى شخص جيل فاستحييت أن أذكره . وروى عن هاشم بن حسان أنه قال : مات لى ابن حدث فرأيته فى النوم فاذا شيب فى رأسه ، فقلت يابنى ماهذا الشيب ، قال لما قدم علينا فلان زفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق أحدمنا الا شاب ، وقيل لما مات كرز بن وبرة رؤى فى المنام كأن أهل القبور خرجوا من قبورهم وعليهم ثياب جدد بيض ، وقيل ماهذا فقالوا ان أهل القبور كسوا لباسا جددا لقدوم كرز عليهم . وروى أن بعض الصالحين قال : كان لى ابن استشهد فلم أره فى المنام الى ليلة توفى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه اذ تراءى لى تلك الليلة ، فقلت يابنى ألم تك ميتا ، فقال لى ولكنى استشهدت وأنا حى عند الله تعالى أرزق ، فقلت ماجاء بك فقال نودى فى أهل السموات أن لا يبقى نبى ولا صديق ولا شهيد الا ويحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز فجئت لأشهد الصلاة ، ثم جئتكم لأسلم عليكم . وروى عن عبد الواحد بن عبد المجيد الثقفى : قال رأيت جنازة يحملها ثلاثة رجال وامرأة ، قال فأخذت مكان المرأة وذهبنا الى المقبرة فصلينا عليها ودفناها ، فقلت للمرأة من كان هذا منك ، قالت ابنى قلت أولم يكن لك جيران قالت نعم ولكنهم صغروا أمره ، فقلت وأيش كان هذا ، فقالت هو مخنث قال فرحمتها وذهبت بها الى منزلى وأعطيتها دراهم وحنطة وثيابا ونمت تلك الليلة فرأيت كأنه أتانى آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يشكرنى ، فقلت من أنت ، فقال المخنث الذى دفنتمونى اليوم رحمنى ربى باحتقار الناس إياى . تزود لنفسك ياأخى بالتقوى ، ومن عرف مابين يديه لم يؤثر هوى ، ومن تفكر فى رحيل من كان قبله صار النهوض مستيقظا عليه ، كم من مغرور بشبابه رحمة حاله اختطفه الموت من خلانه ، كم من مائل الى جمع ماله تركه تركة ومر بأثقاله ، هل رحم الموت مريضا لضعف أوصاله ، هل ترك كاسبا لأجل أطفاله :

لقد أخبرتك الحادثات بزولها — وبادتك إلا أن سمعك ذو وقر
تنوح وتبكى للأحبة إن مضوا — ونفسك لا تبكى وأنت على الأثر

اللهم ارحمنا ولا تعذبنا وانصرنا ولا تخذلنا وعافنا ولا تمرضنا وأكرمنا ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا ، انك على كل شىء قدير .

فصل فى أشراط الساعة

قال الله تعالى — اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم — . وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال ان من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم » . وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا اتخذ الفىء دولا ، والامانة مغنما ، والزكاة مغرما ، وتعلم لغير دين الله ، وأطاع الرجل امرأته ، وعق أمه ، وأدنى صديقه ، وأقصى أباه ، وظهرت الأصوات فى المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل

مخافة شره ، وظهرت القينات والمعازف ، وشربت الخمور ، ولعن آخر هذه الأمة أولها فلترقبوا ريحا حمراء ، وزلزلة وخسفا وقذفا ، وآيات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع » . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال « ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلاء يصيب هذه الأمة حتى لايجد الرجل ملجأ يلجأ اليه من الظلم فيبعث الله رجلا من عترتي وأهل بيتي فيملأ به الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض لاتدع السماء من قطرها شيئا الاصبته مدرارا ولاتدع الأرض من نباتها شيئا إلاأخرجته حتى يتمنى الأحياء الأموات يعيش فى ذلك سبع سنين أوثمان سنين أوتسع سنين » . وفى صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفارى ، قال « اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر ، فقال ماتذاكرون ، قال نذكر الساعة ، قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات : فذكر الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى ابن مريم ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم » .

فصل فى الاشياء التى لاينفع معها الايمان

فى صحيح مسلم قال « ثلاث اذا خرجن لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل : طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض» . واختلف فى أول الآيات فقيل أولها طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة ، وجاء من رواية ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال « وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها» . ودابة الأرض طولها ستون ذراعا ذات قوائم ووبر وقيل مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات تتصدع بجبل الصفا فتخرج منه ليلة جمع والناس نزول الى منى ، وقيل تخرج من أرض الطائف ومعها عصا موسى ، وخاتم سليمان عليهما السلام لايدركها طالب ولايعجزها هارب تضرب المؤمن بالعصا فينكت فى وجهه مؤمن وتطبع الكافر بالخاتم فينكت فى وجهه كافر . وفى صحيح مسلم عن النواس بن سمعان قال « ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ، فقال ان يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه ، وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافية كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن ادركه منكم فليقرأ عليه بفواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا ياعباد الله فاثبتوا قلنا يارسول الله ومالبثه فى الارض ، قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم قال لااقدروا له قدره . قلنا يارسول الله وماإسراعه فى الأرض ، قال كالغيث استدبرته الريح فيأتى اليوم فيدعوهم فيؤمنون به فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ، ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شىء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ، ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض

ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك ، فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر ، واذا رفعه تحدر منه مثل جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الامات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ، ثم يأتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ، فبينما هو كذلك اذ أوحى الله الى عيسى : اني قد أخرجت عبادا لي لايدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ، ثم يسيرون حتى ينتهوا الى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون قد قتلنا من في الأرض هلمّ فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم الى السماء فيرد الله اليهم نشابهم مخضوبة دما ويحصر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه الى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ، ويروى زهمهم بضم الزاي وفتح الهاء وموضع زهمه وهي الريح المنتنة ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله عليهم طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ويروى تطرحهم بالنهل ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجعابهم سبع سنين ، ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ، ثم يقال للارض أنبتي ثمرتك وردّي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس ، فبيناهم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمير فعليهم تقوم الساعة ، وأنشد بعضهم :

مثل لقلبك أيها المغرور ... يوم القيامة والسماء تمور
قد كورت شمس النهار وأضعفت ... حرّا على رأس العباد تفور
وإذا الجبال تقلعت بأصولها ... فرأيتها مثل السحاب تسير
واذا العشار تعطلت عن أهلها ... خلت الديار فما بها معمور
واذا النجوم تساقطت وتناثرت ... وتبدلت بعد الضياء كدور
واذا الوحوش لدى القيامة أحضرت ... وتقول للأملاك أين نسير
فيقال سيروا تشهدون فضائحا ... وعجائب قد أحضرت وأمور
واذا الجنين بأمه متعلق ... خوف الحساب وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف لهوله ... كيف المقيم على الذنوب دهور

فصل في النفخ في الصور

قال الله تعالى ـ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض الامن شاء الله ثم

نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ماعملت وهو أعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذاقالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين — وفى كتاب النسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وأصغى بسمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ فينفخ . قالوا يارسول الله وكيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » . وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قلت يارسول الله النساء والرجال جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال ياعائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم الى بعض » . وفى كتاب الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم . قال ان الذى أمشاهم فى الدنيا على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك » . وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم فى النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا » . وفيه قال صلى الله عليه وسلم « يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض » . وفيه قال « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى . قال سهل أوغيره وليس فيها معلم لأحد » . وصح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يبعث الميت فى ثيابه التى مات فيها » . قيل المراد بالثياب العمل ، وحمله أبوسعيد الخدرى على ظاهره ، وفى صحيح مسلم عن المقداد ابن الاسود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون كمقدار ميل » . قال سليم بن عامر فوالله ماأدرى مايعنى بالميل أمسافة الأرض أوالميل الذى يكتحل به العين . قال « فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ، ومنهم من يكون الى ركبتيه ، ومنهم من يكون الى حقويه ، ومنهم من يلجمهم العرق إلجاما وأشار بيده صلى الله عليه وسلم الى فيه » . وفى مسند أبى بكر البزار عن جابر بن عبد الله . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان العرق ليلزم المرء فى الموقف حتى يقول يارب ارسالك بى الى النار أهون على مما أجد وهو يعلم مافيها من شدة العذاب » . وقال بعض السلف : لوطلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة لأحرقت الأرض وأذابت

السحر ونشفت الأنهار . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لاظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال انى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه » . قال الحسن البصرى رحمه الله : فما ظنكم بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا شربة حتى انقطعت أعناقهم عطشا واحترقت أجوافهم جوعا ثم انصرفوا بهم الى النار فسقوا من عين آنية : أى متناهية فى الحرارة أوقدت عليها جهنم منذ خلقها .

فصل فى الشفاعة المختصة بمحمد صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى — من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه — وفى صحيح البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه . قال « أتى النبى صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ، ثم قال أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون مم ذلك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولايحتملون فيقول الناس الاترون مابلغكم ألا تنظرون الى من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض أبوكم آدم . فيأتون آدم فيقولون أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك ألاترى مانحن فيه ألا ترى مابلغنا فيقول آدم ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب مثله قبله ولن يغضب مثله بعده وانه قد نهانى عن الشجرة فعصيته نفسى نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى نوح ، فيأتون نوحا فيقولون أنت أول الرسل الى الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا أماترى الى مانحن فيه ألاترى الى مابلغنا ألاتشفع لنا الى ربك فيقول ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه كان لى دعوة دعوت بها على قومى نفسى نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى ابراهيم ، فيأتون ابراهيم فيقولون ياابراهيم انت نبى الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا الى ربك أما ترى مانحن فيه فيقول لهم ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانى كذبت ثلاث كذبات نفسى نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى موسى ، فيأتون موسى فيقولون ياموسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك أماترى الى مانحن فيه فيقول ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانى قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسى نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى عيسى ، فيأتون عيسى فيقولون ياعيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس فى المهد اشفع لنا الى ربك ألاترى مانحن فيه فيقول عيسى ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم ، وفى رواية فيأتونى فيقولون يامحمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا الى ربك ألا ترى الى مانحن فيه فأنطلق وآتى تحت

العرش فأقع ساجداً لربى ثم يفتح الله علىّ من محامده وحسن الثناء عليه مالم يفتحه على أحد قبلى ثم يقال يامحمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول أمتى يارب أمتى يارب أمتى يارب فيقول يامحمد أدخل من أمتك من لاحساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، ثم قال : والذى نفسى بيده ان مابين المصراعين من مصاريع الجنة كمابين مكة وهجر أوكما بين مكة و بصرى » . وفى الصحيحين «يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب هم الذين لايسترقون ولايتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون » . وفى رواية فى صحيح مسلم «سبعون ألفا مع كل واحد منهم سبعون ألفا» . قال فى المفاتيح: التوكل نوعان خاص ، وهو أن يترك التداوى والاسترقاء والكى لغاية ثقته بأنه لايصيبه الاما كتب الله له من النفع والضر وهو المراد هنا ، وعام يجب على الكل وهو أن يعلم أن لامؤثر الا الله فالطعام لايشبع والأدوية لاتشفى الابأمره ومن له هذا الاعتقاد جاز له التداوى والاسترقاء وكسب المال بالتجارة والحرف .

فصل فى الحساب

قال الله تعالى ـ وأزلفت الجنة للمتقين و برزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون ـ وقال الله تعالى ـ فلنسئلن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ـ ، وفى صحيح مسلم عن شقيق بن عبد الله . قال النبى صلى الله عليه وسلم « يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » ، وفى صحيح البخارى «يجاء بنوح يوم القيامة فيقال هل بلغت فيقول نعم يارب فيسأل أمته هل بلغكم فيقولون ماجاءنا من نذير فيقال من شهودك فيقول محمد وأمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجاء بكم فتشهدون، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وكذلك جعلناكم أمة وسطا قال عدولا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا ـ » . وقال مقاتل فى قوله تعالى [وامتازوا اليوم أيها المجرمون] أى اعتزلوا اليوم : يعنى فى الآخرة من الصالحين وقال السدى : كونوا على حدة ، وفى الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله يا آدم قم فابعث بعث النار ، فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك وما بعث النار ، فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، قال فحينئذ يشيب الوليد ـ وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ـ فاشتد ذلك عليهم فقالوا يارسول الله أين ذلك الرجل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعمائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج ومنكم واحد . فقال الناس الله أكبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله انى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة والله انى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة والله انى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبر الناس . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنتم يومئذ فى الناس الا كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود أو كالشعرة السوداء فى الثور الأبيض » . وفى صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم « لتؤدن الحقوق الى أهلها حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء» . قال الكلبى : يقول الله عز وجل للبهائم والوحوش

والطيور والسباع كنّ ترابا فتسوى بهن الأرض فعند ذلك يتمنى الكافر أن لوكان ترابا قال الله تعالى — ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا — وفي كتاب الترمذي وغيره عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله تعالى حتى يسئل عن أربع : عن عمره فيم أفناه وعن جسده فيم أبلاه وعن علمه فيم عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه » ، وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال أتدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجرني من الظلم ؟ قال يقول بلى فيقول : انى لا أجيز على نفسي الا شاهدا مني فيقول — كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا — وبالكرام الشاهدين عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي قال فتنطق بأعماله ، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكنّ وسحقا فعنكن كنت أناضل » . وفي الصحيحين عن عدي بن حاتم . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما منكم من أحد الاسيكلمه ربه ليس بينه وبين ربه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى الاماقدم وينظر أشأم منه فلا يرى الاماقدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة » . وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها . قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حوسب يوم القيامة عذب ، فقلت أليس قد قال الله تعالى — فسوف يحاسب حسابا يسيرا — قال ليس ذلك الحساب إنما ذلك العرض ، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب » . فتفكر رحمك الله سؤال ربك لك بغير واسطة عن كل قليل وكثير وتغير وتقدير وقول الملائكة باذن هل الله الموقف . وتذروى عنه عليه السلام وان لله ملكا مابين شفرتي عينيه مسيرة مائة عام . فما ظنك بنفسك اذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة ارسلوا اليك ليأخذوك الى مقام العرض فترتعد فرائصك وتضطرب جوارحك وتتمنى حالك اذ جهنم ولاتعرض قبائحك على ربك تعالى فتوهم نفسك في أيدي الموكلين بك حتى انتهوا بك الى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وناداك الله عز وجل بعظيم كلامه : يا ابن آدم ادن مني فدنوت بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وأعطيت كتابك الذي لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فليت شعري بأي قدم تقف بين يدي الله وبأي لسان تجيب وبأي قلب تعقل ماتقول وماذا تقول اذا قال لك أما استحييت مني وظننت أني لا أراك . وعن الفضيل : اني لا أغبط أن أكون ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولاعبدا صالحا أليس هؤلاء يتعاقبون في القيامة انما أغبط من لم يخلق وأنشد بعضهم :

مثل وقوفك يوم الحشر عريانا … مستعطفا قلق الاحشاء حيرانا
النار تزفر من غيظ ومن حنق … على العصاة وتلق الرب غضبانا
اقرأ كتابك ياعبدي على مهل … وانظر اليه ترى هل كان ما كانا
لما قرأت كتابا لايغادر لي … حرفا وما كان في سر واعلانا
قال الجليل خذوه ياملائكتي … مروا بعبدي الى النيران عطشانا
يارب لاتخزنا يوم الحساب ولا … تجعل لنارك فينا اليوم سلطانا

فصل فى الميزان

قال الله تعالى — القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهيه نار حامية — ، وذكر أبو بكر البزار رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « ملك موكل بالميزان فيؤتى بابن آدم فيوقف بين كفتى الميزان ، فان ثقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لايشقى بعدها أبدا ، وان خف ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق شقى فلان شقاوة لايسعد بعدها أبدا » . وفى سنن أبى داود عن عائشة رضى الله عنها «وأنها ذكرت النار فبكت . فقال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة . فقال ﷺ : أما فى ثلاثة مواطن فلايذكر فيها أحد أحدا : عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل ، وعند الكتاب حين يقال — هاؤم اقرءوا كتابيه — حتى يعلم أين يقع كتابه أفى يمينه أم فى شماله أم من وراء ظهره ، وعند الصراط اذا وضع بين ظهرانى جهنم » . وفى الوسيط عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « سمعت رسول الله ﷺ يقول « ليعتذرن الله الى آدم ثلاث معاذير يقول الله : يا آدم لولا أنى لعنت الكذابين وأبغضت الكذب والخلف وأوعدت لرحمت اليوم ولدك أجمعين من شدة ما أعددت لهم من العذاب ، ولكن حق القول منى لئن كذب رسلى وعصى أمرى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ، ويقول الله عز وجل : يا آدم اعلم أنى لا أدخل من ذريتك النار أحدا ولا أعذب منهم بالنار أحدا الامن قد علمت بعلمى أنى لورددته الى الدنيا لعاد الى شر مما كان فيه ولم يرجع ولم يعتب ويقول عز وجل : قد جعلتك حكما بينى وبين ذريتك قم عند الميزان فانظر مايرفع اليك من أعمالهم ، فمن رجح منهم خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة حتى تعلم أنى لا أدخل منهم النار الا ظالما » ، وفى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع . فقال : ان المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ماعليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار » . وفى الصحيح « ان أول مايقضى فى الدماء» وفى معالم التنزيل . روى عن عبد الله بن مسعود قال « اذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى مناد : ألا من كان يطلب مظلمة فليجئ الى حقه فليأخذه فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه وان كان صغيرا ، ومصداق ذلك فى كتاب الله عز وجل — فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون ، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون — ويؤتى بالعبد وينادى مناد على رؤوس الأولين والآخرين هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال آت هؤلاء حقهم فيقول يارب من أين وقد ذهبت الدنيا ، فيقول الله عز وجل للملائكة انظروا فى أعماله الصالحة فأعطوهم منها ، فان بقى مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة يارب بما بقى

له مثقال ذرة من حسنة فيقول الله عز وجل ضعفوها لعبدى وأدخلوه بفضل رحمتى الجنة ومصداق ذلك فى كتاب الله عزّ وجل — ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها — وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة إلهنا فنيت حسناته و بقى طالبون ، فيقول الله عز وجل خذوا من سيآتهم فأضيفوها الى سيآته ثم صكوا له صكا الى النار » . وذ كرالترمذى من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « ان الله سيخلص رجلا من أمتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مدّ البصر ، ثم يقول الله أتنكر من هذا شيئا أظلمك كتبتى الحافظون فيقول لايارب ، فيقول الله أفلك عذر فيقول لا يارب ، فيقول بلى ان لك عندنا حسنة فانه لاظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، فيقول احضر وزنك . فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال انك لا تظلم . قال فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة . قال فلا يثقل مع اسم الله تعالى شيء » : أى من كان معه ذ كر الله فلا يقاومه شيء يترجح من المعاصى ، بل يترجح الذ كر على المعاصى فتفكر رحمك الله فى ميزانك واحترز من خسرانك . واعلم أن من لاسيئة له فله الجنة ومن لاحسنة له فله النار ، ومن خلط فالعدل بالميزان فاتقوا الله عباد الله ، ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرّض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق فى معاشرتهم ، فان مابين العبد و بين الله خاصة فالمغفرة اليه أسرع . قيل : « اذا تعلق الظالم بالظالم الأواب ، وهوالذى أقلع عن الذنب فلم يعد اليه ولم يتمكن من الاستحلال قال الله للظالم ارفع رأسك فيرفع رأسه فاذا بقصر عظيم يلوح ، فيقول ماهذا يارب ؟ فيقول انه للبيع فاشتره منى ، فيقول مامعى ثمنه ، فيقول ان تبرئ مظلمة أخيك فالقصر لك ، فيقول قد فعلت يارب » .

وحكى أنه لما حضرت لقمان الحكيم الوفاة بكى . فقال له ابنه ما يبكيك يا أبت ؟ فقال يابنى لست أبكى على الدنيا ولا على نعيمها ، ولكن على ما أمامى من الشقة البعيدة والمفازة السحيقة والعقبة الكئود والزاد القليل والحمل الثقيل ولا أدرى أيحط عنى ذلك الحمل حتى أبلغ الغاية أم أثقل حتى أساق الى النار ، فلهذا أبكى ومات رحمه الله ، وأنشد بعضهم :

أرانى اذا حدّثت نفسى بتوبة ... تعرض لى من دون ذلك عائق
تقضت حياتى فى اشتغال وغفلة ... وأعمال سوء كلها لا توافق
طردت وغيرى بالصلاح مقرب ... ودون بلوغى مسلك متضايق
وكيف وزلات المسيء كثيرة ... أيقرب عبد عن مواليه آبق
الى الله أشكو قلب سوء قد احتوى ... عليه الهوى واستأصلته العلائق
ولى حزن يزداد فى كل لحظة ... ودمع جفونى للبكاء يسابق
فان تغفر الذنب الذى قد أتيته ... فذاك رجائى والظنون توافق
علامة مايولى من الفضل ان أنا ... هجرت الدنيا أو قلت انك طالق
هنالك يبدو كل سر معظم ... لعينى وتغشانى هناك الحقائق

فصل فى المرور على الصراط والحوض

قال الله — تعالى فورّبك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ، ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا وإن منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ، ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا — ، واختلف فى ورودها ، فقيل هو الدخول فيها وهى خامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم ، وقيل هو الجواز على الصراط فانه ممدود عليها وصححه النووى رحمه الله . وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة أوحذيفة بعد ماذكر حديث الشفاعة التى لجأ الناس اليه ﷺ فيها وهى الاراحة من الموقف والفصل بين العباد ، قال وفيأتون محمدا فيقوم ويؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبى الصراط يمينا وشمالا فيمرّ أولكم كالبرق ثم كمر الريح ثم كمرّ الطير وأشدّ الرجال تجرى بهم أعمالهم ونبيكم صلى الله عليه وسلم قائم على الصراط يقول : رب سلم رب سلم حتى يجىء الرجل فلا يستطيع السير الا زحفا قال وفى حافتى الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت فمخدوش ناج ومكدوس فى النار ، والذى نفس أبى هريرة بيده ان قعر جهنم لسبعون خريفا» . قال فى اكمال المعلم فى تفسير الحديث الآخر : ان الصخرة العظيمة لتلقى فى شفير جهنم فتهوى فيها سبعين عاما حتى تفضى الى قرارها ، وفى صحيح البخارى قال رسول الله ﷺ «يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة ، فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى لمنزله فى الجنة منه لمنزله كان فى الدنيا . وفى رسالة القشيرى قال معاذ بن جبل : ان المؤمن لا يطمئن قلبه ولا تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم ، وكان أبو ميسرة رضى الله عنه إذا أوى إلى فراشه قال : ياليت أمى لم تلدنى ثم يبكى فقيل مايبكيك ؟ فقال أخبرنا انا واردوها ولم نخبر انا صادرون عنها ، وبكى عبد الله بن رواحة وقال آية أنزلت ينبئنى فيها ربى أنى وارد النار ولم ينبئنى أنى صادر عنها فذلك الذى أبكانى . وقال الحسن : كيف لايحزن المؤمن وقد حدث عن الله انه وارد جهنم ولم ينبئه بأنه صادر عنها . وفى صحيح مسلم عن أنس قال «بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا اذ أغفى اغفاءة ، ثم رفع رأسه متبسما . فقيل ماأضحكك يارسول الله ؟ قال نزلت علىّ آنفا سورة يقرأ فيها — بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الأبتر — ثم قال أتدرون ما الكوثر فقلنا الله ورسوله أعلم قال فانه نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم ، فأقول ربى إنه من أمتى ، فيقول ماتدرى ماأحدث بعدك» وقوله يختلج بلفظ المجهول : أى يعدل به عن الحوض وهو اما المرتد وإما العاصى ، وفى كتاب الترمذى عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان لكل نبى حوضا وانهم ليتباهون أيهم أكثر واردة ، وانى لأرجو أن أكون أكثرهم واردة» . وفى صحيح البخارى عن سهل بن سعد قال : قال النبى ﷺ «أنا فرطكم على الحوض من مرّ علىّ شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا ليردن علىّ أقوام أعرفهم ويعرفونى ثم يحال بينى وبينهم» . وزاد أبو سعيد الخدرى فقال «فأقول انهم منى فيقال انك لاتدرى ماأحدثوا بعدك فأقول سحقا سحقا لمن غير بعدى» . قوله لم يظمأ : أى لم يعطش ، وفيه أن الشرب منه

يكون بعد الحساب والنجاة من النار ، وفيه أن الواردين المارّين عليه كلهم يشربون وإنما يمنع الذين يذادون عن الورود والمورود عليه ، وسحقاً أى بعداً وهذا مشعر بأنهم مرتدون عن الدين لأنه يشفع للعصاة ويهتم بأمرهم ولا يقول لهم مثل ذلك . وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « بينا أنا قائم عند الحوض اذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بينى و بينهم فقال هلم فقلت أين قال الى النار والله . قلت ماشأنهم ؟ قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى ، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى و بينهم فقال هلم . فقلت أين قال إلى النار والله . قلت ماشأنهم ؟ قال إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى فلا أراه يخلص فيهم الامثل همل النعم » . قال الكرمانى فى الكواكب الدرارى : والهمل بفتحتين مايترك مهملا لايتعهد ولايرعى حتى يضيع ويهلك : أى لا يخلص منهم من النار إلا قليل ، وهذا مشعر بأنهم صنفان : كفار وعصاة . وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « ان رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون وددت أنا قد رأينا اخواننا . قالوا أولسنا اخوانك يارسول الله . قال بل انتم أصحابى واخواننا الذين لم يأتوا بعد . قالوا وكيف تعرف من لم يأت بعد من امتك يارسول الله . قال أرأيت لوأن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهرى خيل دهم بهم ألا يعرف خيله قالوا بلى يارسول الله . قال فانهم يأتون غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال اناديهم ألا هلم ألا هلم . فيقال إنهم قد بدلوا بعدك فأقول سحقا سحقا » . وفى كتاب الترمذى عن ثوبان عن النبى ﷺ « حوضى من عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وآنيته عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابداً ، أول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين الشعث رؤوسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولاتفتح لهم السدد » . فقال عمر بن عبد العزيز : لكنى نكحت متنعمات وفتحت لى السدد نكحت فاطمة بنت عبد الملك لاجرم أن لا أغسل رأسى حتى يشعث ولا أغسل ثوبى الذى يلى جسدى حتى يتسخ . وفى صحيح البخارى « كان ابن أبى مليكة يقول : اللهم انا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا » .

واعلم أن الحوض لنبينا محمد ﷺ على باب الجنة يسقى منه المؤمنون وهو مخلوق اليوم فتب ياأخى الى ربك واتقه ليخرجك من همك واسأله أن يقيك من فتنة تقع فى دينك فتذاد عن حوض نبيك . قيل ان الله ستر ثلاثا فى ثلاث : ستر رضاه فى طاعته فلا يحقرن أحدكم من الطاعة شيئا فرب محتقر من الطاعة فيه رضا الله ، وستر غضبه فى معصيته فلا يحقرن أحدكم شيئا من المعصية فرب محتقر من المعصية فيه غضب الله ، وستر وليه فى خلقه فلا يحقرن أحدكم أحدا من خلق الله فرب من لايؤبه له وهو ولى الله ، وستر أيضا رابعا وهو الاجابة فى الدعاء فلا يحقرن أحدكم شيئا من الدعاء على أى حال كان وفى أى موطن كان :

قف على الباب طالبا   وذر الدمع ساكبا
وتوسل اليه وار   جع عن الذنب تائبا
تلق من حسن صنعه   عند ذاك العجائبا
لاتخف أن ترد عن   كرم الله خائبا

فهو يجزى على اليســير ويعطى الرغائبا
شرف المرء بالتقى فاجعل الصدق صاحبا
واحتشم أن يراك ربــــبك للذنب راكبا
ان للدهر أسهما للرزايا صوائبا *
* وخطوبا تتابعت فأثارت نوائبا *
فارض بالله واعتصم واسأل الله راغبا

فصل فى الشفاعة

قال الله تعالى ـ يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ـ وقال ـ لايشفعون إلا لمن ارتضى ـ . ذكر أبو بكر البزار عن النبى ﷺ قال «يحمل الناس يوم القيامة على الصراط فيتقادع بهم جنبتا الصراط تقادع الفراش فى النار ، ثم يؤذن للملائكة والنبيين والشهداء والصالحين فيشفعون ويخرجون من النار» . وروى فى الصحيح «ان أول من يشفع المرسلون ، ثم النبيون ثم العلماء» . وفى كتاب الترمذى قال رسول الله ﷺ «ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من بنى تميم . قيل يارسول الله . سواك قال سواى» . وفى مسند البزار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان من أمتى من يشفع للفئام من الناس ، ومنهم من يشفع للعصبة . ومنهم من يشفع للقبيلة ، ومنهم من يشفع للرجل . . . » . وروى الدارقطنى عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ «نعم الرجل أنا لشرار أمتى قالوا كيف لخيارها ؟ قال أما خيارها فيدخلون الجنة بأعمالهم وأما شرار أمتى فيدخلون الجنة بشفاعتى» . وروى عن عوف بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ «أتانى آت من عند الله فخيرنى بين ان يدخل نصف أمتى الجنة وبين الشفاعة ، فاخترت الشفاعة وهى لمن مات لايشرك بالله شيئا» . وفى الوسيط للواحدى عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان الرجل يقول فى الجنة مافعل صديقى وصديقه فى الجحيم ؟ فيقول الله عزوجل : أخرجوا له صديقه الى الجنة فيقول من بقى فيها فما لنا من شافعين ولاصديق حميم» .

وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال ، «ان ناسا قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله ﷺ نعم . قال هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يارسول الله قال ماتضارون فى رؤية الله تعالى يوم القيامة الا كما تضارون فى رؤية أحدهما ، اذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل امة ما كانت تعبد ، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب والأوثان الا يتساقطون فى النار حتى اذا لم يبق الامن كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب فتدعى اليهود ، فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد عزيرا ابن الله . فيقال لهم كذبتم مااتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون . قالوا عطشنا يارب فاسقنا ، فيشار اليهم ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار ، ثم تدعى النصارى . قال فيقال لهم ما كنتم تعبدون . قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله . فيقال لهم كذبتم مااتخذ الله من صاحبة ولا ولد . فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا ، فيشار اليهم ألا تردون ،

فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر ، أتاهم رب العالمين فى أدنى صورة من التى رأوه فيها قال : فماذا تنتظرون لتتبع كل أمة ما كانت تعبد . قالوا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم ، فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لانشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد أن ينقلب . فيقول هل بينكم و بينه آية تعرفونه بها فيقولون نعم ، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا اذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء و رياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة ، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ، ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقول : اللهم سلم سلم ، فيمر المؤمنون كطرفة العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب ، فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون من النار ، فوالذى نفسى بيده ما من احد منكم بأشد منا شدة فى استيفاء الحق قد تبين لكم من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون معنا ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فيحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا ، ثم يقولون ربنا مابقى فيها أحد ممن أمرتنا به ، فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ، ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا . ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا فيقول الله شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر بأفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل ، فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم ، فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه . فيقال لهم لكم ما رأيتم ومثله » .

اعلم أن الشفاعات خمس : أولها الاراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب ، وهى مختصة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، والثانية فى ادخال قوم الجنة بغير حساب وهى أيضا وردت له صلى الله عليه وسلم ، والثالثة قوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ومن شاء الله له يشفع له ، والرابعة فى زيادة الدرجات فى الجنة لأهلها ، والخامسة فيمن دخل النار من المذنبين فيشفع فيهم نبينا وغيره من الأنبياء والملائكة واخوانهم المؤمنين ، ثم يخرج الله كل من قال لا إله الا الله من غير شفاعة شافع حتى لا يبقى فيها الا الكافرون كما فى حديث انس « ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجدا . فيقال يامحمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يارب ائذن لى فيمن قال لا إله الا الله قال ليس ذلك اليك لكن وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبروتى لأخرجن من قال لا إله الا الله » : أى أتفضل باخراجهم دون شفاعة شافع ، فهؤلاء هم الذين معهم مجرد الايمان وهم الذين لم يؤذن فى الشفاعة فيهم ، وإنما دلت الآثار انه أذن لمن عنده شىء زائد على الايمان من عمل صالح أو ذكر خفى أو عمل من أعمال القلب من شفقة على مسكين وخوف من الله ونية صادقة فى عمل فاته وجعل للشافعين من الملائكة والنبيين دليل عليه وتفرد الله بعلم ماتكنه القلوب

والرحمة لمن ليس عنده سوى الايمان ، فقوله مثقال ذرة من ايمان ومن خير الصحيح أن معناه شيء زائد على مجرد الايمان ، لأن مجرد الايمان الذي هو التصديق لا يتجزأ ، فعليك يا أخي بالايمان بأن تعتقد بقلبك دين الاسلام وتنطق مع ذلك بالشهادتين ، فان اقتصرت على أحدهما خلدت في نار جهنم التي وقودها الناس والحجارة ولا تنفعك شفاعة شافع ، ثم عليك أن تحترز من المعاصي فان المعاصي بريد الكفر ، فقد حكي أن تلميذ الفضيل بن عياض حضرته الوفاة فدخل عليه الفضيل وجلس عند رأسه وقرأ سورة يس . فقال يا أستاذ لا تقرأ هذه السورة فسكت ثم لقنه فقال قل لا إله الا الله فقال لا أقولها لأني بريء منها ومات على ذلك فدخل الفضيل منزله وجعل يبكي أربعين يوما لم يخرج من البيت ثم رآه في النوم وهو يسحب به الى جهنم . فقال بأي شيء نزع الله المعرفة منك وكنت أعلم تلامذتي فقال بثلاثة أشياء : أولها بالنميمة فاني قلت لأصحابي بخلاف ماقلت لك ، وثانيها بالحسد حسدت أصحابي ، وثالثها كان بي علة فجاء الى طبيب فسألته عنها فقال اشرب في كل سنة قدحا من خمر فان لم تفعل تبق بك العلة فكنت أشرب به نعوذ بالله من السخط الذي لا طاقة لنا به قال بعضهم :

اذا أبقت الدنيا على المرء دينه فما فاته منها فليس بضائر

اللهم ارحمنا ولا تعذبنا ووفقنا ولا تخذلنا ولا تسلب منا الايمان عند موتنا فانه لا ملجأ لنا الا اليك ولا معول لنا الا عليك ياأرحم الراحمين .

فصل في عذاب الكافرين في جهنم

قال الله تعالى ـ فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به مافي بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ، تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ، اذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ، والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ، ان شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم : أي وسطها ، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنك أنت العزيز الكريم ، وأصحاب الشمال ماأصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الأولون قل ان الأولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم فلولا تصدقون ، خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين لا يأكله الا الخاطئون ، هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام الا من ضريع

لايسمن ولايغنى من جوع — . وفى كتاب الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه . قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله الجنة قال لجبريل اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها والى ماأعدّ الله لأهلها فيها ثم جاء فقال أى رب وعزتك لايسمع بها أحد الا دخلها ثم حفها بالمكاره ثم قال ياجبريل اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها ثم جاء فقال أى رب وعزّتك لقد خشيت أن لايدخلها أحد . قال فلما خلق الله النار قال ياجبريل اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها فقال أى رب وعزتك لايسمع بها أحد فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال ياجبريل اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها فقال أى رب وعزّتك لقد خشيت أن لايبقى أحد الادخلها » . وفى صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ناركم هذه التى يوقدها ابن آدم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يارسول الله قال انها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها » وذكر سفيان بن عيينة عن أبى هريرة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ولولا أنها ضربت بالماء مرتين ما كان لأحد فيها منفعة » . وفى كتاب الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودّت فهى سوداء مظلمة » . وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه . قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سمع وجبة فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم « أتدرون ماهذا قال قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر رمى به فى النار منذ سبعين خريفا فهو يهوى فى النار الآن حتى انتهى الى قعرها فسمعتم وجبتها » . وفى كتاب الترمذى عن عبد الله ابن عمرو بن العاص . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لوأن رصاصة مثل هذه وأشار الى مثل الجمجمة أرسلت من السماء الى الأرض فى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ولوانها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أوقعرها » . وفى صحيح البخارى عن أنس عن النبيّ صلى الله عليه وسلم « يقول الله لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة لو أن لك مافى الأرض من شىء أكنت تفتدى به فيقول نعم ؟ فيقول قد أردت منك أهون من هذا وأنت فى صلب آدم أن لاتشرك بى شيئا فأبيت الا أن تشرك » . وفى صحيح مسلم عن النعمان بن بشير رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل مايرى أن أحدا أشد منه عذابا وانه لاهونهم عذابا » . وفيه عن سمرة ابن جندب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان منهم من تأخذه النار الى كعبيه ، ومنهم من تأخذه الى حجزته ، ومنهم من تأخذه الى عنقه » . وفى مسند البزار عن أبى هريرة رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لوكان فى المسجد مائة ألف أو يزيدون ، ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم » . وفى كتاب الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ولوأن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على اهل الدنيامعايشهم فكيف بمن يكون طعامه » . وعن أبى سعيد الخدرى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال « لسرادق النار أربعة جدر وكثف كل جدار مسيرة أربعين سنة » قال صلى الله عليه وسلم « لوأن دلوا من

فساق تهراق فى الدنيا لانتن أهل الدنيا » . قال العلماء الفساق عرق أهل النار وصديدهم . وقيل دموعهم يسقونها مع الحميم . وقال صلى الله عليه وسلم « ويل واد فى جهنم يهوى الكافر فيه أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره ، والصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ويهوى كذلك أبدا » . وقال صلى الله عليه وسلم « لوأن مقمعا من حديد وضع على الأرض فاجتمع الثقلان ماأقلوه من الأرض . وقال لوضرب بمقمع من حديد الجبل لتفتت وصار غبارا » . وفى كتاب الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول : انى قد وكلت بثلاث بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين» . وفى كتاب الترمذى عن أبى امامة رضى الله عنه وعن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله ـ يسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ـ قال يقرّب الى فيه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى ـ وسقوا ماء حميا فقطع أمعاءهم ـ ويقول جلا وعلا ـ وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه » . وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه . عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ان الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت مافى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان » . وفيه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « وهم فيها كالحون . قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته » . وفى كتاب الترمذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا وان ضرسه مثل أحد وان مجلسه فى جهنم كما بين مكة والمدينة » . وفى صحيح مسلم قال « ضرس الكافر أوناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث . وقال : مابين منكبى الكافر فى النار مسيرة ثلاث للراكب المسرع » .

وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطؤه الناس » . وفى كتاب الترمذى وغيره عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أيها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون فى النار حتى تسيل دموعهم على وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون ، فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت » .

وحكى عن شقيق البلخى أنه كان يوما يعاقب نفسه ويوصيها ويقول : ياشقيق لاتعص الله الا على حسب ماتطيق من عذابه واعمل لآخرتك على قدر حوائجك اليها واطلب الرزق على قدر مقامك فى الدنيا واعمل لدار لانفاد لها فسوف ترى اذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار . وروى أن الربيع بن خيثم كان يذهب الى ابن مسعود فمر بحانوت حداد فرأى الحديدة المحماة فى الكير فغشى عليه ولم يفق الى الغد ، فلما أفاق سئل عن ذلك . فقال تذكرت كون أهل النار فى النار .

اخوانى صححوا الايمان وهو تصديق القلب ولايعتبر الامع التلفظ بالشهادتين حتى تنجوا من خلود نار جهنم واحرصوا كل الحرص على الاتيان بكمال خصال الاسلام حتى تنجوا من دخولها رأسا .

أياعاملا النار جسمك لين ... فجربه تمرينا بحر الظهيرة
ودرجه فى لسع الزنابير تجترى ... على نهش حيات هناك عظيمة
فان كنت لا تقوى فويلك ما الذى ... دعاك الى إسخاط رب البرية
تبارزه بالمنكرات عشية ... وتصبح فى أثواب نسك وعفة
فانت عليه منك أجرى الورى ... بما فيك من جهل وخبث طوية
تقول مع العصيان ربى غافر ... صدقت ولكن غافر بالمشيئة
وربك رزاق كما هو غافر ... فلم لم تصدق فيهما بالسوية
فانك ترجو العفو من غير توبة ... ولست ترجى الرزق الا بحيلة
على أنه بالرزق كفل نفسه ... لكل ولم يكفل لكل بجنة
إلهى أجرنا من عظيم ذنوبنا ... ولا تخزنا وانظر الينا برحمة
وخذ بنواصينا اليك وهب لنا ... يقينا يقينا كل شك وريبة
الهى اهدنا فيمن هديت وخذ بنا ... الى الحق نهجا فى سواء الطريقة
وكن شغلنا عن كل شغل وهمنا ... وبغيتنا عن كل هم وبغية
وصل صلاة لاتناهى على الذى ... جعلت به مسكا ختام النبوة

فصل فى الخلود فى النار

قال الله تعالى — والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون — وفى كتاب الترمذى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ماهم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لايسمن ولايغنى من جوع فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخلت بطونهم قطعت مافى بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم فيقولون أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات، قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال . قال فيقولون ادعوا مالكا فيقولون يامالك ليقض علينا ربك . قال فيجيبهم انكم ماكثون . قال الأعمش نبئت أن بين دعائهم واجابة مالك اياهم ألف عام ، قال فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون . قال فيجيبهم اخسئوا فيها ولا تكلمون ، قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك يأخذون فى الزفير والحسرة والويل » ويروى « أن لهب النار يرفع أهل النار حتى يطيروا كما يطير الشرر فاذا رفعهم اشرفوا على الجنة وبينهم حجاب فنادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ، ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين — فتردهم ملائكة العذاب بمقامع الحديد الى قعر جهنم » . قال بعض المفسرين : هو معنى قول الله عز وجل — كلما أرادوا أن يخرجوا

منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ـ وفى الكشاف وأنوار التنزيل عن ابن عباس رضى الله عنهما : ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار ، يقولون ألف سنة : ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا فيجابون لقد حق القول منى ، فيقولون ألفا : ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ، فيجابون ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم ، فيقولون ألفا : يامالك ليقض علينا ربك ، فيجابون انكم ماكثون ، فيقولون ألفا : ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ، فيجابون أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال ، فيقولون ألفا : ربنا أخرجنا نعمل صالحا ، فيجابون أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ، فيقولون ألفا : رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت فيجاب كلا انها كلمة هو قائلها اخسئوا فيها ولا تكلمون ، ثم لا يكون لهم فيها الازفير وشهيق وعواء » . وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال « اذا صار أهل الجنة الى الجنة وصار أهل النار الى النار أتى بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار فيذبح ، ويقال ياأهل الجنة لاموت وياأهل النار لاموت فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرحهم وأهل النار حزنا الى حزنهم » . وفى كتاب الترمذى « فلو أن أحدا مات فرحا لمات أهل الجنة ولو أن أحدا مات حزنا لمات أهل النار » فاتق الله ياأخى ولاتصغر ذنبا ولا تلق مثل هذا خلف ظهرك ظنا منك أنه إنما يلحق الكفار ، فقد روى البخارى فى صحيحه ان النبى ﷺ قال « يابلال قم فأذن لايدخل الجنة الا مؤمن » وإنه قال ﷺ « ان العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار ، وإنما الأعمال بالخواتيم » . وقال الغزالى رحمه الله وكان شيخنا يقول : إذاسمعت بحال الكفار وخلودهم فى النار فلا تأمن على نفسك فان الأمر على الخطر ولا تدرى ماذا يكون من العاقبة وماذا سبق لك فى حكم الغيب ولاتغتر بصفاء الأوقات فان تحتها غوامض الآفات . وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ـ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ـ هى الموت على غير الشهادة ـ قال أبوحفص الحداد : المعاصى بريد الكفر كما أن الحمى بريد الموت وقال حاتم الأصم : لاتغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة فلقى آدم فيها مالقى ولاتغتر بكثرة العبادة فان ابليس بعد طول تعبده لقى مالقى ، ولاتغتر بكثرة العلم فان بلعام كان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ماذا لقى ، ولاتغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر من المصطفى ، لم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه . وقيل لما ظهر على ابليس ماظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان زمانا طويلا فأوحى الله اليهما : مالكما تبكيان هذا البكاء ؟ فقالا يارب لانأمن مكرك . فقال الله تعالى هكذا كونا لاتأمنا مكرى . وعن أبى بكر الوراق رحمه الله انه قال : أكثر ماينزع الايمان من العبد عند الموت فنظرنا فى الذنوب فلم نجد أنزع للايمان من ظلم العباد :

اقنع فديتك بالقليل والزم مقارنة الخمول
واملك هواك مجاهدا وتنح عن قال وقيل
فلسوف تسأل يوم يشـ ـسرك المليك عن الفتيل
والمرء فى شغل بذا ك عن المصاحب والخليل

لا بد تجزى ما صنعـــت من الدقيق وبالجليل
نم ما استطعت على ذنو بك بالغـدوّ وبالأصـيل
ان كنت ترغب فى الجنا ن وظل مولاك الظليل

قال فى إكمال المعلم : اعلم أن الاجماع قد وقع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بتخفيف عذاب ولا بنعيم لكنهم باضافة بعضهم إلى الكفر كبائر المعاصى وأعمال الشر وأذى المؤمنين يزدادون عذابا كما قال الله تعالى ـ ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين ـ فليس اذا عذاب أبى طالب كعذاب أبى جهل . وذكر عن الحسن ان آخر من يخرج من النار يقال له هناد صنب ألف عام ينادى : ياحنان يامنان ، فبكى الحسن وقال : ياليتنى كنت هنادا فتعجبوا منه ، فقال : ويحكم أليس يوما يخرج ، ولاشك أنه رحمه الله كان عالما بأحكام الآخرة . قال يحيى بن معاذ : لاأدرى أى المصيبتين أعظم أفوت الجنان ، أم دخول النيران ، أما الجنة فلا صبر عنها ، وأما النار فلا صبر عليها ، وعلى كل حال فوت النعيم أيسر من مقاساة الجحيم ، ثم الطامة الكبرى والمصيبة العظمى هى فى الخلود ، اذ أى قلب يحتمله وأى نفس تصبر عليه .

فصل فى الجنة وما لأهلها من النعيم

قال الله تعالى ـ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ـ [والسابقون] أى الى الهجرة أو الخير [السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة] : أى منسوجة بالذهب مشبكة بالجواهر [متكئين عليها متقابلين] وجوه بعضهم الى بعض ليس أحد وراء أحد [يطوف عليهم ولدان مخلدون] لايشيبون ولايتغيرون [بأكواب] جمع كوب اناء لاعروة ولا خرطوم له [وأباريق وكأس من معين لايصدعون عنها ولا ينزفون] أن لا ينشأ عنها صداعهم ولاذهاب عقلهم [وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون] أى المصون عما يضرّ به [جزاء بما كانوا يعملون لايسمعون فيها لغوا] عبثا باطلا [ولا تأثيما] أى مايوقع فى الاثم [الا قيلا سلاما سلاما] أى الا التسلم منهم بعضهم على بعض [وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين] هم الأبرار دون المقربين [فى سدر مخضود] أى لاشوك له أو مثنى الغصن من كثرة الحمل [وطلح] موز [منضود] متراكم قد نضد بالحمل من أسفله الى أعلاه [وظل ممدود] أى منبسط أودائم ، وفى الحديث « ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام مايقطعها » . [وماء مسكوب] أى مصبوب يجرى على وجه الأرض من غير أخدود [وفاكهة كثيرة لامقطوعة] فى زمان [ولاممنوعة] من أحد [وفرش مرفوعة] كما بين السماء والأرض [وجوه يومئذ ناعمة] ذات بهجة [لسعيها] فى الدنيا [راضية] فى الآخرة لما رأت من ثوابها [فى جنة عالية] المحل أو القدر [لاتسمع فيها لاغية] لغوا [فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة] رفيعة السمك اذا أراد أن يجلس عليها صاحبها تواضعت له ثم ترتفع [وأكواب موضوعة] بين أيديهم [ونمارق] وسائد

[مصفوفة] بعضها بجنب بعض [وزرابى] بسط فاخرة [مبثوثة] مبسوطة ، وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الله تعالى « أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر واقرءوا ان شئتم ـ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ـ . قال أهل اللغة قرة أعين يعبر بها عن المسرة ورؤية مايحب الانسان ويوافقه ، وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ « ان فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة اقرءوا ان شئتم وظل ممدود ، ولقاب قوس أحدكم فى الجنة خيرمما طلعت عليه الشمس أوتغرب » . وفى كتاب الترمذى « مافى الجنة شجرة الا وساقها من ذهب » . وفى كتاب الترمذى عن أبى هريرة قال « قلت يارسول الله مم خلق الخلق قال من الماء قلنا الجنة مابناؤها . قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يفنى شبابهم ولاتبلى ثيابهم » وفى صحيح مسلم قال « إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء إضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرىء منهم زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم من الحسن يسبحون الله بكرة وعشيا لايسقمون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الالوة وأزواجهم الحور العين ورشحهم المسك على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا فى السماء ، وفيه قال : يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولايتفلون ولايبولون ولا يتغوطون ولايتمخطون ، قالوا فما بال الطعام . قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس » . وفى الصحيحين قال « ان أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم . قالوا يارسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم . قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » . وفى مسند البزار عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « انك لتنظر الى الطير فى الجنة فتشتهيه فيجيء مشويا بين يديك » . وفى كتاب الترمذى عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ان فى الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقام اليه أعرابى فقال لمن هى يارسول الله . قال هى لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام » . وفى كتاب الترمذى عن سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لوأن مايقل ظفر مما فى الجنة بدا لتزخرف له مابين خوافق السموات والأرض ، ولوأن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوؤه ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم » . وفى كتاب الترمذى عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ان فى الجنة لسوقا مجتمعا مافيها شراء ولابيع الا الصور من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها » . وفى كتاب الترمذى عن سليمان بن بريدة عن أبيه « أن رجلا قال يارسول الله هل فى الجنة من خيل . قال إن الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك فى الجنة حيث شئت الا حملت وسأله رجل . فقال يارسول الله هل فى الجنة من إبل فقال إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك » .

وفى كتاب الترمذى قال صلى الله عليه وسلم «من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بنى ثلاث وثلاثين فى الجنة لا يزيدون عليها أبدا وكذلك أهل النار ، وقال ان عليهم التيجان أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب » . وفى كتاب الترمذى قال صلى الله عليه وسلم « ان فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس أعلاها درجة منها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش ، فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس » .

وحكى أن أصحاب الثورى كلموه فيما كانوا يرون من خوفه واجتهاده ورثه حاله ، فقالوا يا أستاذ لو نقصت من هذا الجهد نلت مرادك أيضا ان شاء الله تعالى . فقال سفيان كيف لا أجتهد وقد بلغنى أن أهل الجنة يكونون فى منازلهم فيتجلى لهم نور يضيء له الجنان الثمان فيظنون أن ذلك نور من جهة الرب سبحانه وتعالى فيخرون ساجدين فينادون أن ارفعوا رؤوسكم ليس الذى تظنون انما هو نور جارية تبسمت فى وجه صاحبها ثم أنشد يقول :

ماضر من كانت الفردوس مسكنه ماذا تحمل من بؤس واقتار
تراه يمشى كئيبا خائفا وجلا إلى المساجد يمشى بين اطمار
يانفس مالك من صبر على النار قد حان أن تقبلى من بعد ادبار

وقيل لوهب بن منبه « أليس لا إله الا الله مفتاح الجنة ؟ قال بلى ولكن ليس مفتاح الا له أسنان فان جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك » ذكره البخارى فى صحيحه . وروى «إن الله عز وجل أوحى الى موسى : ماأقل حياء من يطمع فى جنتى بغير عمل كيف أجود برحمتى على من يبخل بطاعتى» . وعن شهر بن حوشب « طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لايطاع حمق وخذلان» . وعن رابعة البصرية أنها كانت تنشد :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجرى على اليبس

وقال الشيخ اليافعى رحمة الله عليه :

فياعجبا نُغرى بنار وجنة وليس الذى نشتاق أو ذلك نحذر
اذا لم يكن خوف وشوق ولا حيا فماذا بقى فينا من الخير يذكر
ولسنا كحر صابرين ولا بلى فكيف على النيران ياقوم نصبر
وفوت جنان الخلد أعظم حسرة على ذلك فليتحسر المتحسر
فأف لنا أف كلاب مزابل الى نتنها نغدو ولا نتدبر
نبيع خطيرا بالحقير عمانة وليس لنا عقل وقلب منور
فطوبى لمن يؤتى القناعة والتقى وأوقاته فى طاعة الله يعمر

اللهم اجعلنا من المتقين الوارثين الجنة ولا تحرمنا من رفدك ورحمتك ياعظيم المنة .

فصل فى صفة الحور العين

قال الله تعالى — حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون — وقال تعالى — كأنهن الياقوت والمرجان — وقال — انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب

العين — وفي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ « ان المؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون يطوف عليهم المؤمن وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » : أي صفة الكبرياء والعظمة فهو بكبريائه وعظمته لا يريد أن يراه أحد من خلقه حتى يأذن لهم في دخول جنة عدن فيرونه فيها . وفي صحيح مسلم قال « ان في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون الى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا ، فيقول لهم أهلوهم : والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا » . وفي كتاب الترمذي قال « ان أول زمرة يدخلون الجنة يوم القيامة ضوء وجوههم على مثل ضوء القمر ليلة البدر ، والزمرة الثانية على مثل أحسن كوكب دري في السماء لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من ورائها » . وفي كتاب النسائي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع . قيل يارسول الله أو يطيق ذلك قال يعطى قوة مائة » . وفي كتاب الترمذي عن علي قال : قال رسول الله ﷺ « ان في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها يقلن : نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبؤس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، فطوبى لمن كان لنا وكنا له » . وفي كتاب الترمذي قال رسول الله ﷺ « لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم أو موضع يده في الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت الى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » ، قال في الصحاح : النصيف الخمار . وفي كتاب الترمذي قال رسول الله ﷺ « أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء » . وفي مسند البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال « قيل يارسول الله أنفضي الى نسائنا في الجنة . فقال إي والذي نفسي بيده ان الرجل ليفضي في اليوم الواحد الى مائة عذراء » . وعن أبي سعيد الخدري قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة اذا جامعوا نساءهم عادوا أبكارا » . وفي صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ « قال سأل موسى عليه السلام ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له ادخل الجنة فيقول أي رب وكيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ، فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب فيقول هذا لك ، وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك ، فيقول رضيت رب قال رب فأعلاهم منزلة . قال أولئك الذين غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر . قال ومصداقه من كتاب الله تعالى — فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين » ، وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله تعالى يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم ، فيقولون ومالنا لا نرضى يارب وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك ، فيقولون يا ربنا وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقو

حلّ لكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا » .

[اخوانى] اتركوا الدنيا واكدحوا للآخرة وارفضوا حب نساء الدنيا واشتروا الحور الساحرة فانها تدرك بأيسر الأثمان وتسكن معكم مخلدة فى الجنان ، وروى عن مالك بن دينار رضى الله عنه أنه كان يوما ماشيا فى أزقة البصرة فاذا هو بجارية من جوارى الملوك راكبة ومعها الخدم ، فلما رآها مالك نادى أيتها الجارية أيبيعك مولاك . فقالت كيف قلت ياشيخ قال أيبيعك مولاك . قالت ولو باعنى أكان مثلك يشترينى قال نعم وخيرا منك فضحكت وأمرت به أن يحمل الى دارها فحمل فدخلت الى مولاها فأخبرته فضحك وأمر أن يدخل به اليه فأدخل فألقيت له الهيبة فى قلب السيد فقال ما حاجتك . فقال بعنى جاريتك قال أوتطيق أداء ثمنها ؟ قال ثمنها عندى نواتان مسوّستان فضحكوا . قال وكيف كان ثمنها عندك هذا قال لكثرة عيوبها ، قال وما عيوبها قال ان لم تتعطر دفرت ، وان لم تستك بخرت ، وان لم تمتشط وتدهن قملت وشعثت ، وان عمرت عن قليل هرمت ذات حيض وغائط وبول وأقذار وحزن وغم وأكدار ، ولعلها لاتودك الا لنفسها ولا تحبك الا لتنعمها لاتفى بعهدك ولا تصدق فى ودك ولا يخلف عليها أحد بعدك الا رأته مثلك وانا آخذ بدون ما سألت فى جاريتك جارية خلقت من سلالة الكافور ، ومن المسك والجوهر والنور لو مزج ريقها بأجاج البحر لطاب ولو دعى بكلامها ميت لأجاب ولو بدا معصمها للشمس لأظلمت دونه كما ولو بدا فى الظلام لأنارت به وأشرقت ولو واجهت الآفاق بحليها وحللها لتعطرت به وتزخرفت نشأت من بين رياض المسك والزعفران وقضبان الياقوت والمرجان وقصرت فى خيام النعيم وغذيت بماء التسنيم لاتخلف عهدها ولا تبدل ودها ، فأيهما أحق برفع الثمن قال التى وصفت . قال فانها الموجودة الثمن القريبة المرام فى كل زمان . قال فما ثمنها رحمك الله . قال أيسر اليسير أن تتخلى عن الأمور أن تتفرغ ساعة فى ليلك فتصلى ركعتين تخلصهما لربك وأن يوضع طعامك فتذكر جائعا فتؤثر الله تعالى على شهوتك وأن ترفع عن الطريق حجرا أو قذرا وأن تقطع أيامك بالبلغة والقلة وترفع همك عن دار الغرور الى دار السرور فتعيش فى الدنيا بعز القناعة وتأتى الى موقف الكرامة آمنا غدا وتنزل فى الجنة دار النعيم فى جوار الملك الكريم مخلدا . فقال جارية أسمعت ما قال شيخنا هذا ؟ قالت نعم قال أفصدق أم كذب . قالت بل صدق وبرّ ونصح . قال فأنت اذا حرة لله تعالى وضيعة كذا وكذا صدقة عليك وأنتم أيها الخدم أحرار وضيعة كذا وكذا لكم وهذه الدار بما فيها صدقة مع جميع مالى فى سبيل الله . ثم مد يده الى ستر خشن كان على بعض أبوابها فاجتذبه وخلع جميع ما كان عليه واستتر به . فقالت الجارية لاعيش بعدك يامولاى ، فرمت بكسوتها ولبست ثوبا خشنا وخرجت معه ، فودعهما مالك بن دينار ودعا لهما وأخذ طريقا وأخذا طريقا غيره فتعبدا جميعا حتى جاء الموت فنقلهما على حال العبادة رحمهما الله ورضى الله عنهما ونفعنا بهما وبسائر الصالحين . اللهم يسر علينا متابعتهم وأوصل الينا فتوحاتهم وأدم لنا بركاتهم وألحقنا بهم واحشرنا فى زمرتهم واهدنا هداهم واسلكنا طريقهم آمين .

فصل فى اللقاء

قال الله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل

بها فاقرة — وفى صحيح مسلم عن صهيب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى أتريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار . قال فيرفع الحجاب فينظرون الى وجه الله تعالى فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم ثم تلا للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » . قال العلماء الحسنى الجنة والزيادة هى النظر الى وجه الله تعالى الكريم . اللهم ارزقنا ذلك بفضلك . وروى الامام أحمد والترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر الى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة ، وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ — وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » . وفى الصحيحين عن جرير بن عبد الله قال « نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القمر ليلة البدر قال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته ، فان استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ، ثم قرأ — وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب » ، وفى كتاب الترمذى عن سعيد بن المسيب أنه لقى أبا هريرة فقال : أسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة . فقال سعيد وفيها سوق قال نعم وأخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة اذا دخلوا نزلوا فيها بفضل أعمالهم ثم يؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم دنىء على كثبان المسك والكافور مايرون أن أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلسا . قال أبو هريرة : قلت يارسول الله وهل نرى ربنا قال نعم هل تتمارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر قلت لا . قال كذلك لا تتمارون فى رؤية ربكم ولايبقى فى ذلك المجلس رجل الاحاضره الله محاضرة حتى يقول الرجل منهم يافلان بن فلان أتذكر يوم قلت كذاوكذا فيذكره ببعض غدراته فى الدنيا ، فيقول أفلم تغفر لى فيقول فبسعة مغفرتى بلغت منزلتك هذه ، فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط ويقول ربنا قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم فيأتون سوقا قد حفت بهم الملائكة فيها مالم تنظر العيون الى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولايشترى ، وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا . قال فيقبل الرجل ذوالمنزلة المرتفعة فيلقى من دونه ومافيهم دنىء فيروعه مايرى عليه من اللباس فما ينقضى آخر حديثه حتى يتخيل عليه ماهو أحسن منه ، وذلك انه لاينبغى لأحد أن يحزن فيها ، ثم ننصرف الى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا لقد جئت وإن بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه ، فنقول انا جالسنا اليوم ربنا الجبار ويحقنا أن ننقلب مثل ما انقلبنا » . قال بعض السادات رأيت غلاما فى البرية وهو قائم يتعبد وليس معه أحد قد انقطع عن العمارة والناس فسلمت عليه وقلت له يافتى أنت منقطع بلامعين ولا رفيق . فقال بلى وعزته معى المعين والرفيق . فقلت فأين المعين والرفيق ؟ فقال هو فوقى بقدرته ومعى بعلمه وحكمته وبين يدى بهدايته وعن يمينى بنعمته وعن شمالى بعصمته .

قال فلما سمعت منه هـذا الكلام قلت له هل لك فى المرافقة فقال هيهات مرافقتك تشغلنى عن خدمته وما أحب أن يكون هذا لى ولى ملك الدنيا من شرقها الى غربها . فقلت له اما تستوحش فى هذا المكان ؟ فقال لى ياهـذا من كان المولى حبيبه وأنيسه كيف يستوحش . فقلت من أين تأكل . فقال ياهذا الذى غذانى برفقه فى ظلمة الاحشاء صغيرا تكفل بى كبيرا ولى عنـده رزق معلوم وله وقت محتوم . فسألته الدعاء فقال لى : حجب الله طرفك عن معصيته وملأ قلبك بخشيته ولا جعلك ممن يشتغل بغيره عن خدمته ، ثم ذهب ليقوم فتعلقت به وقلت له يا أخى متى ألقاك فتبسم وقال أما بعد يومك هذا فلا تحدث به نفسك فى الدنيا ويوم القيامة يوم يجتمع فيه الناس ، فان كنت ممن تلقانى فاطلبنى فى جملة الناظرين الى الله . فقلت له ومن أين عرفت ذلك فقال به وعدنى ربى وذلك أنى غضضت طرفى عن النظر الى المحرمات ومنعت نفسى من تناول الشهوات وخلوت بخدمته فى الليالى المظلمات ، ثم غاب عنى فما رأيته : اللهم اجعلنا ممن أتصف بهذه الصفات الثلاث فظفر بلقائك يوم الدين الذين يقول لهم خزنة الجنة اذا جاءوها ـ سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ـ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

بحمد لله وحسن توفيقه قد تم طبعه

[أحمد سعد على]
أحد علماء الأزهر
ورئيس التصحيح

فى يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٥٣ هـ - ٢٦ يونيه سنة ١٩٣٤ م

